من جديد حول برغواطة هراطقة

المغرب فى العصر الإسلامى



واضع وقبائل البربر فى المغرب الأقصى

بحث من اعداد الدكتورة
سحر السيد عبد العزيز سالم
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
ت ٤٨٣٩٤٧٢ - الإسكندرية

من جديد حول برغواطة هراطقة
المغرب في العصر الإسلامي

بحث من إعداد الدكتورة
سحر السيد عبد العزيز سالم
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٣

الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
ت ٤٨٣٩٤٧٢ - الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

ويه نستعين

من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصر الإسلامي

يعتبر قيام برغواطة فى اقليم تامسنا [١] من المغرب الأقصى ، فى القرن الثانى للهجرة ، حادثة خطيرة ، ويسجل مرحلة حاسمة فى تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، فقد ارتبط قيامها فى تلك البقعة النائية من المغرب الاسلامى بعقائد غريبة ومتطرفة ، أثارت اهتمام الباحثين وجعلت برغواطة مثار مناقشات عديدة ، دارت حول أصول الفكر العقائدى عند البرغواطيين بل وتجاوزت ذلك إلى الخوض فى أصل برغواطة ، وتعريف كيانها . ويرى الجمهور الاعظم من الباحثين القدامى منهم والمعاصرين ، أن برغواطة دولة خارجة عن تعاليم الإسلام الى حد أن الكثيرين منهم وصموها بالهرطقة والوثنية [٢] ، بينما تصدت فئة قليلة منهم للدفاع عنها وعن عقيدتها وعن نسبتها للإسلام [٣] .

وفى تصورى أن الفكر العقائدى لبرغواطة كان يجمع بين أفكار ومذاهب وأديان متعددة ، بدءاً من الفكر السنى الى الخارجية المتطرفة ، والتشيع [٤] ، وكذلك جانباً من الدوناتية [٥] وبعض الأفكار اليهودية ، بل يمكننا أن نلمح فى فكرهم العقائدى بعض التقاليد البربرية المحلية والوثنية الامر الذى يجعل من البرغواطية فكراً خارجاً عن الدين الاسلامى الحنيف .

وسنوضح فى بحثنا استناداً على النصوص والادلة التاريخية كيف كان هذا الكيان البرغواطى يشكل خطورة شديدة على الاسلام فى المغرب طوال العصور الوسطى ، خاصة وأن دولة برغواطة امتدت جغرافياً فى بقعة متسعة وغنية اقتصادياً من المغرب الاقصى ، كما امتدت زمنياً فترة طويلة استمرت حتى بداية عصر الموحدين .

١ - أصل برغواطة، ومنازلها في المغرب الاسلامي:

قبل أن نتعرض لاصل برغواطة يجدر بنا أن نوضح من البداية أننا نهدف الى الفصل بين الاصل الاجتماعي لبرغواطة كقبيلة بربرية وبين أصل «بنى طريف» حكامها الذين أسسوا كيانها السياسي . ويكتنف الحديث عن برغواطة باعتبارها قبيلة بربرية غموض يتعذر معه التوصل الى حقيقة أصل هذه القبيلة بسبب الاختلاف الشديد فيما أوردته المصادر والمراجع بشأن هذه القبيلة .

فإذا رجعنا الى المؤلف المجهول صاحب كتاب مفاخر البربر نجد انه ينسب برغواطة إلى زناتة ويعبر عن ذلك بقوله "وكان ظهور برغواطة في سنة ١٢٧ هـ في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان ، واستقر ملكهم آخراً بتامسنا ، وهم في الاصل من زناتة .. (٦)" . وقد أخذ بتلك الرواية ابن الخطيب في موضع من كتابه أعمال الاعلام (٧) ، وتابعه في ذلك عدد من الباحثين المعاصرين على رأسهم الدكتور حسين مؤنس (٨) والدكتور الطالبي (٩) .

أما ابن خلدون فقد كذب الرأي القائل بنسبة برغواطة الى زناتة بقوله "وقد يغلط بعض الناس في نسب برغواطة هؤلاء فيعدهم في قبائل زناتة .... وليس القوم من زناتة ، ويشهد لذلك كله موطنهم وجوارهم لاخوانهم المصامدة ." (١٠) ويؤكد ابن خلدون في أكثر من موضع من كتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر» نسبة برغواطة الى مصمودة ، ففي أحد المواضع يقول "وأما المصامدة وهم من ولد مصمود بن يونس بن بربر فهم أكثر قبائل وأوفرهم ، من بطونهم ، برغواطة ، وغمارة ، واهل جبل درن . ولم تزل مواطنهم بالمغرب الأقصى منذ الاحقاب المتطاولة . وكان المتقدم فيهم قبيل الاسلام وصدره برغواطة . ثم صار التقدم بعد ذلك لمصامدة جبال درن الى هذا العهد .." (١١) .

وفي موضع آخر يؤكد ابن خلدون نسبة برغواطة لمصمودة في سياق حديثه عن غمارة المصمودية وصلتها ببرغواطة (١٢) .

وقد أخذ برواية ابن خلدون كل من الدكتور حسن محمود (١٣) ، ود. محمد الفاسي والمستشرق هريك (١٤) ، و د . محمد ولد داداه (١٥) ، والدكتور ابراهيم حركات ، والاستاذ ميلود عشاق (١٦) ، والاستاذ تراس (١٧) .

وفى نفس الوقت يرى بعض مؤرخى العرب أن برغواطة لم تكن قبيلة واحدة وإنما كانت أخلاطاً بربرية لقبائل كثيرة لا يجمعها اصل واحد ، ولا تنتمى إلى أب واحد ولا الى أم واحدة ، ومن هؤلاء ابن أبى زرع [١٨] ، وابن الخطيب [١٩] والسلاوى الناصرى . [٢٠] وقد قام بعرض هذا الرأى كل من الاستاذين محمد عبد الله عنان [٢١] والدكتور احمد مختار العبادى [٢٢] .

والارجح فى تصورى أن برغواطة تنتسب إلى مصمودة استناداً الى رواية ابن خلدون الجديرة بالثقة ، ولأن عصبية برغواطة زادت فى عصر دولة الموحدين المصامدة .

وكانت برغواطة تقيم فى اقليم تامسنا الذى يمتد ما بين وادى نهر أبى الرقراق ووادى ام الربيع [٢٣] . وهذه المنطقة كانت تخضع قبل الفتح الاسلامى لنفوذ يليان حاكم سبتة [٢٤] .

وكان أول احتكاك مباشر لبرغواطة بالاسلام عندما اغار عقبة بن نافع على بلاد تامسنا بالسوس الادنى فى ولايته الثانية على المغرب وانتهت غارته السريعة بوقوفه على ساحل البحر المحيط عند ايغيران يطوف ودخوله بفرسه فى مياه المحيط حتى بلغ الماء بطن الفرس [٢٥] . ولكن حملة عقبة كانت سريعة ولم تسفر عن انتشار الاسلام فى هذه النواحى التى قدر لها أن تتعرض لحملة موسى بن نصير فيما يقرب من عام ٨٧ هـ ، وفيها خرج موسى على رأس جيش كثيف يتألف من وجوه العرب ، وبعض البربر ، لفتح منطقة السوس الاقصى والادنى ، وقد انتهت هذه الحملة بالنجاح ، وأسفرت عن فتح بلاد درعة القريبة من منازل برغواطة . ومن هناك اتجه موسى بجيوشه الى طنجة فافتتحها وترك عليها طارق بن زياد ، وعهد اليه بتعليم بربر برغواطة وغمارة الإسلام ، فترك لهم من العرب سبعة عشر رجلاً من العرب يعلمون البربر القرآن وشرائع الدين الاسلامى [٢٦] .

وليس من السهل أن نحدد بكل دقة منازل برغواطة على خريطة المغرب ونرصد خطوط حدودها الجغرافية على وجه التحديد [٢٧] ، فقد كانت حدودها تتذبذب انكماشاً واتساعاً تبعاً لازدياد نفوذ الدولة على المناطق المجاورة أو

انحسار ذلك النفوذ .

ويذكر الحسن بن الوزان ، المعروف بليون الافريقى الحدود التقريبية لتامسنا فيقول "تامسنا اقليم تابع لمملكة فاس ، يبتدى غرباً عند أم الربيع ، وينتهى الى ابى رقراق شرقاً ، والأطلس جنوباً ، وشواطىء البحر والمحيط شمالاً ."(٢٨) بحيث يبلغ طول إقليم تامسنا من الغرب الى الشرق ثمانين ميلاً ، ومن الجنوب الى الشمال نحو ستين ميلاً .

وكان اقليم تامسنا يضم نحو اربعين مدينة تشتمل على نحو ثلثمائة قصر (٢٩) أهمها مدينة شالة *Cella* التى يرجع إنشاؤها إلى الفينيقيين فى رأى (٣٠) . والرومان فى رأى آخر (٣١) ، وتقع بالقرب من نهر ابى الرقراق على بعد نحو ميلين من البحر وميل واحد من مدينة الرباط . وكانت شالة مركزاً تجارياً هاماً فى زمن الرومان كما كانت آخر القواعد العسكرية الرومانية الممتدة شمالاً على سواحل المحيط الاطلسى حتى العاصمة طنجة *Tingis* ، التى كانت تربطها بشالة طريق رومانية قديمة (٣٢) . ومن الجدير بالذكر ان دولة برغواطة اتخذت من شالة حاضرة لها فى كثير من الاحيان (٣٣) ، غير انها تأثرت عمرانياً بالحروب المتتالية التى دارت بين برغواطة ، والقوى الاسلامية المعاصرة لها فى المغرب ، كدولة الأدارسة ودولة المرابطين ، ويرجع الفضل الاعظم الى المنصور الموحدى فى إعادة بنيان اسوارها كما زودها بزاوية عظيمة ، وقصر لجنوده ، ومسجد جامع أضيفت إليه قاعة بلغت الغاية فى الروعة والجمال ، وأوصى المنصور بأن يدفن فيها ، فنقل جسده بعد وفاته من مراكش اليها ، ودفن فيها ، واحتفظ خلفاء الموحدين من بعده بهذا التقليد ، وتابعهم فى ذلك من بعدهم سلاطين بنى مرين . وتقع شالة قبالة مدينة سلا التى لا يفصلها عنها سوى نهر ابى الرقراق ، ولذلك عرفت شالة بشالة سلا . (٣٤) ويلى شالة فى الاهمية مدينة تكيت التى تقع على ضفة وادى أم الربيع فى مجاز الطريق المؤدية من تادلا الى فاس ، وكانت مركزاً تجارياً عامراً ، وسوقاً لبيع القمح ، غير انها دثرت فى اعقاب الحروب الطويلة ضد برغواطة (٣٥) ، اما ادندون فكانت بلدة صغيرة فى نطاق اقليم تامسنا اسست مبانيها بين التلال ، وتقع على بعد نحو خمسة عشر ميلاً من ساحل المحيط الاطلسى ، ولم يتبق للاسف

من آثار هذه المدينة إلا القليل يتمثل فى اسس جدارية وبعض السوارى المتكسرة . وقد حل الخراب بهذه المدينة من جراء حروب برغواطة مع غيرها من القوى الاسلامية فى المغرب (٣٦) . ومن بين مدن تامسنا كذلك زرقة التى كانت تقع فى منطقة سهلة تتفجر فيها العيون وتجرى فيها الجداول ، وقد تخربت هذه المدينة ودثرت تماماً ولم يبق لها أى أثر (٣٧) ، ومنها ايضاً مدينة انفا ، التى يرجع الفضل فى تأسيسها الى الرومان . وتطل هذه المدينة على المحيط الاطلسى ، وتبعد عن آزمور بنحو ستين ميلاً (٣٨) . ومدينة تاغية الواقعة ايضاً على المحيط الاطلسى (٣٩) .

اما آزمور فمدينة تقع على مصب نهر ام الربيع (٤٠) على حدود تامسنا ولكن الحسن بن الوزان يدخلها فى نطاق اقليم دكالة (٤١) . ومن الملاحظ أن حدود دولة برغواطة اتسعت فى كثير من الاحيان لاسيما فى بداية القرن الخامس الى ماوراء حدود تامسنا ، فقد امتدت حدودها الجنوبية جنوبى شالة على طول سواحل المحيط الاطلسى حتى شملت دكالة وعبدة وبلاد الخوز (٤٢) جنوبى آسفى ونواحى مراكش ، مما ترتب عليه خضوع السكان المسلمين المقيمين فى هذه المناطق لملوك برغواطة والتدين بدينهم . أما حدود برغواطة الشمالية فقد امتدت الى شمال الرباط ، وتمكن ملوكها من انتزاع مدينة المعمورة من أيدى بنى يفرن الزناتيين اصحاب سلا ، الذين طالما ناوأوا ملوك برغواطة ، ويعتبر الحسن بن الوزان مدينة المعمورة من بين مدن اقليم تامسنا (٤٣) .

وبلغ سلطان دولة برغواطة حتى سبتة وطنجة زمن اسرة سقوت البرغواطى كما سنوضح فيما بعد . وكانت لبرغواطة قوة بحرية قاعدتها ثغر فضالة (٤٤) .

٢ - الكيان السياسى لبرغواطة :

يختلف المؤرخون فى تحديد طبيعة كيان برغواطة فى العصر الاسلامى ، وتوضيح ما إذا كانت مجرد قبيلة عظمى من قبائل البربر ام دولة تحتفظ بكل خصائص الدول المستقلة . فإذا سلطنا الاضواء على كل الظروف المحيطة ببرغواطة ، فإننا نجد ان برغواطة قبيلة اتاحت لهاالظروف ان تصبح دولة قوية مستقلة ، حافظ أبناؤها على استقلالها بفضل ثرواتها الاقتصادية الهائلة ،

وامكاناتها العسكرية الوفيرة ، وقدرات اهلها العالية . بل ان برغواطة فى تصوري لم تكن مجرد دولة عادية بل كانت دولة قوية منذ قيامها ، خطيرة فى تطلعاتها واهدافها ، خرجت عن تعاليم الاسلام ، وتمكنت من البقاء حتى العصر الموحدى رغم محاولات القوى الاسلامية المتعاقبة فى بلاد المغرب ، التخلص منها لخروجها عن الاسلام ومروقها .

لقد بلغت برغواطة من القوة والبأس الى الحد الذى وصفتها به المصادر العربية بأنها مملكة (٤٥) ، فهى على هذا النحو لم تكن مجرد قبيلة أو حتى إمارة صغيرة بل كانت دولة مستقلة ، يتولاها ملوك اقوياء الامر الذى يدعونا الى مقارنتها بدولة الادارسة أو دولة الرستميين ، فى مجال التاريخ السياسى للمغرب الاسلامى ، فقد أدت دوراً سياسياً هاماً على مسرح أحداث المغرب لفترات طويلة من التاريخ الاسلامى . وإذا كان الغموض يكتنف تاريخها ، وإذا كانت معظم المصادر العربية قد اغفلت الحديث عنها (باستثناء البكرى وابن خلدون وابن ابى زرع وابن الخطيب) ، فإننى أعزى ذلك التجاهل لمروقها وخروج ملوكها عن تعاليم الاسلام .

لقد بلغت برغواطة درجة كبيرة من الاهمية والسطوة والسلطان الى حد أن بعض المستشرقين يبالغ فى وصفها بأنها **"امبراطورية كاملة"** (٤٦) ، ولقد هيأت الظروف الطبيعية والثروات الاقتصادية لبرغواطة الفرصة لكى تصبح دولة تتوفر لها عوامل الاكتفاء الذاتى والحماية الطبيعية (٤٧) : فالجبال المحيطة بتامسنا كفلت لها الحماية الطبيعية ، وذلك أن سهول تامسنا كانت تقع بين جبال الاطلس وبين سلسلة اخرى من الجبال ، اما جبل مسطاسة فيمتد من الشرق الى الغرب ويتاخم غرباً سهل ادخسان المصاقب لتامسنا (٤٨) ، هذا بخلاف مجموعة من التلال تخترق ارض تامسنا .

وكانت قمم هذه الجبال تتوج فى فصل الشتاء بالثلوج ، وكان هذا من حسن طالع برغواطة ، إذ اتاح لهذه الثلوج ان تذوب فى فصل الصيف وتتحول الى مجارى مائية تتدفق لتغذى الجداول والروافد التى امتلأ بها بسيط تامسنا ، والتى كانت تنحدر من جبال الاطلس لتصب فى المحيط الاطلسى . لقد بلغ

عدد هذه الروافد نحو المائة من اهمها وادى ماسنات ، ووادى واتسيفين الذى كان يلتقى مع نهر سلا (ابى الرقراق) جنوبى الرباط (٤٩) . وقد كان لهذه النهيرات والروافد اثرها فى ازدهار الزراعة فى سهـول تامسنـا ذات التربة الزراعية الخصبة (٥٠) . وكان ذلك من اهم العوامل التى جعلت برغواطة ، دولة زراعية من الطراز الاول ، فكانت تنتج الحبوب ولاسيما القمح الذى اشتهرت به مدينة تكيت على وجه الخصوص ، فكان جميع سكان المناطق المتاخمة لبرغواطة يفدون الى هذه المدينة لشرائه (٥١) ، كما اشتهرت بزراعته مدينة النخيلة التى كانت تقع فى وسط تامسنا وفى قلب سهلها . وتذكر كتب التاريخ ان قمحها كان من الكثرة بحيث ان النـاس كانوا يستبدلون احياناً بغلين ، بحمـل جمـل كبير من القمح (٥٢) ، وكانت مركزاً من اهم مراكز بيعه . كذلك كانت تنتج الشعير الذى كان يشكل الغذاء الرئيسى لسكان تامسنا فى معظم اوقات العام . كما اشتهرت برغواطة بزراعة الفواكه بأنواعها المختلفة ، كالتين والكرز والنبق ، فى مدينة زرفة (٥٣) ، والكروم بالنخيلة (٥٤) ، وأنفا التى اشتهرت بزراعته وزراعة الخيار والبطيخ كذلك (٥٥) . أما القطن فكان يزرع فى سلا . هذا بالاضافة الى الثروة الخشبية التى تميزت بها برغواطة بفضل الغابات (٥٦) التى كانت تغطى آزمور وزعير والنخيلة وكريفلة . وبالاضافة الى هذه الثروات الزراعية لم تكن برغواطة تخلو من الثروات المعدنية ، فقد كانت غنية بمناجم الحديد (٥٧) ، كذلك اشتهر اقليم تامسنا بالثروة الحيوانية وانتاج العسل (٥٨) .

ولقد اتاحت هذه الثروات الاقتصادية المتنوعة لبرغواطة ان تقيم علاقات تجارية مع بعض الدول الاخرى . ويؤكد المستشرق *J. Devisse* أن برغواطة ارتبطت تجارياً مع الاندلس بروابط غاية فى الوثاقة والقوة (٥٩) ، ونافست بذلك سجلماسة ، ومن ثم اقدم البرغواطيون على مناوءة سجلماسة واعتراض قوافلها التجارية الامر الذى دفع سجلماسة الى تغيير طرقها التجارية كلية تجنباً للخطر البرغواطى على تجارتها .

ويشير ابن حوقل إلى النشاط الاقتصادى واسع النطاق الذى شهدته برغواطة بحيث كانت منتجعاً لاقوام من اهل سجلماسة وأغمات والسوس الذين كانوا يفدون اليها بالتجارة (٦٠) مما ترتب عليه استقلال برغواطة بمقوماتها الاقتصادية

الذاتية فكانت على حد قوله بلداً مستقلا «غنى عن الحاجة إلى ما فى غيره .... »(٦١) .

وخير دليل يعبر عن ازدهار الاحوال الاقتصادية فى تامسنا وبلاد برغواطة ما ذكره ابن خلدون فى سياق حديثه عن سكان جبل درن من المصامدة من برغواطة وغمارة وعوالم من صنهاجة ومطغرة وأوربة بقوله "يسير الراكب فيها معترضاً من تامسنا وسواحل مراكش الى بلاد السوس ودرعه من القبلة ثمانى مراحل وأزيد تفجرت فيها الانهار . وجلل الارض خمز الشعراء ، وتكاثفت بينها ظلال الادواح ، وزكت فيها مواد الزرع والضرع ، وانفسخت مسارح الحيوان ومراتع الصيد ، وطابت منابت الشجر ، ودرت افاويق الجباية ، يعمرها من قبائل المصامدة أمم لا يحصيهم إلا خالقهم ، قد اتخذوا المعاقل والحصون ، وشيدوا المبانى والقصور ، واستغنوا بقطرهم منها عن اقطار العالم فرحل إليهم التجر من الآفاق . واختلفت إليهم النواحى والامصار ، ولم يزالوا منذ أول الإسلام وما قبله معتمرين بتلك الجبال قد اوطنوا منها أقطاراً بل اقاليم تعددت فيها الممالك والعمالات بتعدد شعوبهم وقبائلهم ، وافترقت اسماؤها بافتراق أحيائهم . » (٦٢). ومما ساهم فى دعم الكيان البرغواطى ارتباط برغواطة بأحلاف مع مجموعة من القبائل البربرية ، نجحت برغواطة فى تحويلها عن الاسلام الصحيح ، ودفعتها الى اعتناق عقائدها الخارجة عن الاسلام ، ونستند فى ذلك على رواية للبكرى الذى يزودنا بأسماء القبائل التى تحالفت مع برغواطة ودانت بعقيدتها الخارجة عن الاسلام . يقول البكرى «وإن قبائل برغواطة الذين يدينون لهم ، وهم على ملتهم جراوة ، وزواغة ، والبرانس ، وبنو أبى ناصر ، ومنجصة ، وبنو ابى نوح ، وبنو واغمر ، ومطغرة ، وبنو بورغ ، وبنو دمر ، ومطماطة ، وبنو وزكسينت ، وعددهم ينتهى ازيد من عشرة الاف فارس.. » (٦٣) .

ويضيف البكرى الى هذه القبائل التى تبعت هراطقة برغواطة اسماء عدد كبير من القبائل البربرية التى حافظت على اسلامها الصحيح رغم تبعيتها لبرغواطة وخضوعها لها ، فيقول "وممن يدين لهم من المسلمين وينضاف الى مملكتهم : زناتة الجبل ، وبنو يليت ، وغمالته ، وبنو واوسينت ، وبنو يفرن ،

وبنو ناغيت ، وبنو النعمان ، وبنو افلوسة ، وبنو كونة ، وبنو يسكر ، وأصاده ، وبركانة ، وايزمين ، ومنادة ، وماسينة ، ورصانة ، وترارتة ، ومبلغ عددهم نحو إثنى عشر الف فارس . "(٦٤) .

وفى كثير من الاحيان كانت برغواطة ترتبط فى حلف مع غمارة المصمودية التى كانت تنزل على مقربة من تامسنا ، ويتصل قبيلها بسكان برغواطة المستقرين بريف المحيط الأطلسى (٦٥) ولم يكن ارتباط برغواطة بغمارة امراً غريباً ، فمن المعروف ان حلف مصمودة الذى كان يضم قبائل وفيرة العدد كان من اهم الاحلاف القبلية فى المغرب الاقصى ، ولهذا لا نعجب اذا تشابهت مظاهر الحياة عند المصامدة بنظائرها عند البرغواطيين ، فقد كانوا زراعاً مستقرين ينزلون بالمدن والقرى ويلتصقون بالارض ، كذلك التقت غمارة مع برغواطة (٦٦) فى كثير من الامور الدينية الخارجة على الاسلام كما سنوضح على الصفحات التالية .

وتعتبر دكالة من القبائل التى ألفت مصمودة السهول وارتبطت ببرغواطة ، وكانت منازل دكالة فى جنوب وادى أم الربيع ، وكذلك ارتبطت بها رجراجة التى توطنت المناطق المطلة على وادى تنسيفت (٦٧) .

٣ - قيام دولة برغواطة:

قلد الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك عبيد الله بن الحبحاب عاملا من قبله على المغرب كله لما عرف عن حزمه وكفايته فى ادارة شئون مصر من قبل وامتثل ابن الحبحاب لامر الخليفة ورحل إلى المغرب بعد ان ترك ولده القاسم على مصر . وفى المغرب ، اسند ابن الحبحاب ولاية السوس بما فى ذلك منطقة تامسنا الى ولده اسماعيل ، فى حين ولى عمر بن عبد الله المرادى على طنجة وما يليها من المغرب الاقصى ، وعرف عمر بشدة تعصبه للعرب على البربر (٦٨) . وأساء السيرة مستثيراً بذلك مشاعر الاهالى الامر الذى دفع هؤلاء الى الخروج عليه ، فسير اليهم ابن الحبحاب حبيب بن ابى عبدة بن عقبة بن نافع سنة ١١٦ هـ ، على رأس جيش كبير لتأديبهم وردهم الى الطاعة . ونجح هذا الجيش العربى فى اداء مهمته ، فقد اكتسح السوس الاقصى والادنى كله بما فى

ذلك تامسنا حتى وصل الى ارض السودان (٦٩) . ويرى بعض المؤرخين أن السبب فى إنفاذ هذه الحملة الى تلك المناطق النائية من بلاد المغرب الاقصى ، ربما يرجع إلى ارتداد القبائل القاطنة هناك عن الاسلام (٧٠) . ولكننا نعتقد ان هذه القبائل ظلت محافظة على إسلامها حتى هذه اللحظة بسبب تقبلها للمذهب الصفرى الخارجى ، كما ستوضح الاحداث التاريخية ذلك فيما بعد ، وإن كان ذلك لا يعنى أن تفهم هؤلاء البربر للإسلام وأصوله كان صحيحاً ، أو أن إسلامهم كان صادقاً ، فخروج برغواطة على الدين الاسلامى وتعاليمه بعد فترة وجيزة من تلك الاحداث ، وتشريع ملوكها لعقائد جديدة هى مزيج من اديان ومذاهب مختلفة يؤكد فقر الفكر الاسلامى الصحيح عند سكان تلك المناطق وسطحية ما كانوا يعرفونه عنه ، وعدم تعمقهم فى فهم الشريعة الاسلامية ، بسبب حداثة عهدهم بالاسلام وضحالة ما تعلموه على فقهاء المسلمين فى أصوله وقواعده . وفى ذلك الوقت ، كان الخوارج قد شرعوا فى التسلل الى عمق بلاد المغرب لبعدها عن دائرة نفوذ الخلافة الاموية فى المشرق الاسلامى (٧١) ، وبدأوا يبثون تعاليمهم التى تدعو إلى المساواة بين جميع الاجناس وبين العناصر البربرية المضطهدة ، مستغلين فى ذلك العداء القائم بين العرب والبربر فى المغرب ، والنزاعات العصبية بين العرب القيسية والعرب اليمنية .

وهكذا وجد الخوارج فى ارض المغرب تربة صالحة لغرس مبادئهم المنادية بالمساواة فى المجتمع الإسلامى بين سائر افراده فى نفوس برير المغرب ، فانتشر المذهب الإباضى المعتدل فى المغرب الاوسط والقسم الشمالى من المغرب الاقصى . أما المذهب الصفرى ، وهو مذهب معتدل فى المشرق الاسلامى ، متطرف فى المغرب الاقصى ، فقد لقى قبولاً واسع النطاق عند برير القسم الجنوبى من بلاد المغرب (٧٢) ، أى فى المناطق الممتدة من السوس الادنى الى جبال درن حيث قبائل برغواطة ، وغمارة ، ومكناسة ، وزناتة كما تسلل إلى قلوب الافارقة والسودان (٧٣) .

وبرز من بين الشخصيات البربرية التى انضوت الى الخوارج وتقبلت الفكر الخارجى ، رجل من مطغرة هو ميسرة المطغرى (٧٤) ، أحد طلاب العلم الخارجى ، وكان قد خرج مع بعض اصحابه الى دمشق ليفضى الى الخليفة

الاموى هشام بن عبد الملك يشكوى قومه من بغى عماله على المغرب ، وما يلقاه البربر من ظلم صارخ على أيديهم ، ولكن الابرش الكلبى حاجب الخليفة لم ييسر لهم مهمتهم ، فلما يئسوا من مقابلة الخليفة تركوا رقاعاً بأسمائهم وقفلوا عائدين الى بلادهم ، وقد اعتزموا شق عصا الطاعة على الدولة الاموية ، والقيام بثورة عارمة فى المغرب للتخلص من الحكم الاموى المستبد ، وتحرير البربر من الظلم والعسف الذى كانوا يعانونه على أيدى عمال الدولة الاموية فى المغرب ، ومن الواضح ان ميسرة خرج من اعتداله وتحول الى الصفرية المتطرفة ، وقاد جماهير البربر الصفرية فى ثورة عاتية ضد العرب انضم إليه فيها برير برغواطة بزعامة رجل يدعى طريف ، وولده صالح (٧٥) ، وكانوا على المذهب الصفرى كما سبق أن أوضحنا ، كما انضم إليه برير مكناسة وطائفة من سكان طنجة بزعامة عبد الأعلى ابن جريج ، ودان له المغرب الاقصى كله مما شجعه على الوثوب بعمر بن عبد الله المرادى (٧٦) والى طنجة وقتله ، وإسناد ولايتها الى حليفه عبد الاعلى بن جريج ، ثم سار ميسرة الى السوس فى حشود ضخمة من برغواطة وغيرها من القبائل ، وأوقع بقوات اسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب وقتله ، مما وضع العرب فى موقف لا يحسدون عليه .

وقعت هذه الاحداث بسرعة خاطفة دفعت عبيد الله بن الحبحاب المقيم فى القيروان الى أن يبعث فى طلب حبيب بن أبى عبدة من صقلية ، ودارت المعركة بين العرب والبربر على مقربة من طنجة ، وانتهت بهزيمة مخزية منى بها العرب ، قتل فيها أشرافهم وكماتهم وعرفت الوقعة لذلك بوقعة الاشراف . ويبدو أن ميسرة كان يسعى قبل أن يشتبك العرب مع البربر فى القتال إلى طلب السلم حقناً للدماء أو أنه تراجع عند بداية الاشتباك ، فأقدم قومه على قتله ونصبوا مكانه خالد بن حميد الزناتى المعروف بتطرفه وإن كان هناك من المؤرخين من ينكر ذلك ويعزون اقدام قومه على قتله بأنه أساء الى اتباعه بعد الانتصار الذى احرزه البربر على العرب وانه ادعى الخلافة وتسمى بها (٧٧) ، فثاروا عليه وقتلوه وولوا مكانه خالد بن حميد الزناتى (١٢٢ هـ) الذى قدر له أن يتغلب على جيوش العرب الشامية والبلدية فى بقدورة ، ويبدو ان طريف صاحب ميسرة المطغرى وحليفه أبدى استياءه لمقتل صاحبه وانقلاب اتباعه عليه ،

فاعتزل الثورة وتراجع الى اقليم تامسنا ، وبدأ فى غمرة غضبه يرسى قواعد دولة مستقلة فى هذا الاقليم من المغرب الاقصى متناسياً المبادىء السابقة التى كان قد اعتنقها ، ودوره الثورى الذى قام به ، وركز اهتمامه على تأسيس ملك قوى له ولابنائه ، من بعده ، لاسيما انه كان يتولى الرئاسة من قبل ميسرة على زناتة وزواغة كما ان ميسرة كان قد أوصى به اهل تامسنا (٧٨) . وربما كان هذا الموقف من طريف فى اعقاب مصرع ميسرة ، وحرصه على تأسيس دولة له فى تامسنا ينهض دليلاً على صحة رأى فريق من الباحثين يرون أن الدافع الرئيسى لثورة البربر فى المغرب الاقصى ، سياسى ، خاصة وان هذه الثورة البربرية كانت من العنف وصحبها من السلوكيات ما يتنافى مع مبادىء المذهب الاباضى السمحة وهو مذهب معتدل يتفق فى كثير من اصوله وفروعه مع مذهب اهل السنة ، كما ان المذهب الصفرى من المذاهب الخارجية المعتدلة (٧٩) . وفى نفس الوقت يناقض قيام طريف بتأسيس دولة برغواطة الرأى القائل بأن برغواطة كانت تستهدف الإبقاء على مذهبها الصفرى (٨٠) طوال العصر الاسلامى والانضواء بذلك فى فلك الدول الاسلامية الخارجية ، فخروج طريف إلى تامسنا عقب مقتل ميسرة حليفه السابق ، لم يدفعه الى اعتزال الثورة الصفرية فحسب ، بل إلى الشروع فى نبذ تعاليم الاسلام كلها ، من خلال الاعلان بقيام دولته التى سيصبح لها فى عهد ولده صالح مبادىء غريبة هدامة للاسلام ، واعتقد ان اعتزال طريف الثورة ضد العرب حدث نتيجة لمقتل حليفه ميسرة ، وبدافع من حرصه على تحقيق امل كان يحدوه بصرف النظر عن أى اعتبارات دينية أو مذهبية .

وسيتأكد رأيى هذا عند حديثنا على الصفحات المقبلة عن تفاصيل عقيدة برغواطة التى تجمع بين العديد من الافكار والمبادىء الدينية .

ونصل بذلك الى نقطة البداية لدولة برغواطة ككيان سياسى مستقل له حكام ارتفعوا الى مصاف الملوك ، واولهم طريف الذى اثار قضايا عديدة حول اصله . فلقد اختلفت آراء المؤرخين وتعددت بشأن أصله ، وسنقدم فما يلى عرضاً لاهم هذه الآراء ثم ندلى برأينا مستندين على النصوص المستقاة من المصادر التاريخية لنتوصل الى حقيقة هذه الشخصية التى احدثت بأفكارها ومبادئها

انقلاباً فى المغرب الاقصى ، وشغلت المسرح السياسى فى المغرب لفترات طويلة .

يرى **الفريق الاول من الباحثين** أن طريف حليف ميسرة ، ومؤسس دولة برغواطة هو نفسه طريف الذى عبر الى الاندلس فى سنة ٩١ هـ على رأس حملة استطلاعية سبقت عبور جيش طارق بن زياد . وانه هو نفس طريف الذى تسمت جزيرة طريف باسمه . ويتمثل هذا الفريق فى جملة من كبار الباحثين فى تاريخ الاندلس هم ، الدكتور محمود اسماعيل (٨١) ، والدكتور سعد زغلول عبد الحميد (٨٢) ، والدكتور حسين مؤنس (٨٣) ، والدكتور احمد مختار العبادى والدكتور رجب محمد عبد الحليم (٨٤) . وعلى الرغم من إجماعهم على هذا الرأى إلا أنهم اختلفوا فيما بينهم حول تحديد اصل طريف هذا ، فبينما يرى أ .د . محمود اسماعيل ان طريف واسمه طريف بن شمعون كان بربرياً يرى د. رجب محمد عبد الحليم أن طريف مؤسس دولة برغواطة الذى هو نفسه طريف بن مالك ، كان بربرى الاصل مغربى المولد ، فى حين يرى كل من أ.د. سعد زغلول و أ. د . حسين مؤنس وأ . د . أحمد العبادى أن طريف كان يدعى طريف بن مالك أو ملوك ، وأنه عربى الاصل .

أما **الفريق الثانى** فيرى أن طريف ، قائد الحملة الاستطلاعية على جنوب الاندلس عربى الاصل من معافر او النخع اليمنية ، وأن جزيرة طريف نسبت اليه . ولم يجد انصار هذا الرأى ما يدفعهم الى الربط بين طريف صاحب الحملة الاستطلاعية الى الاندلس ، وبين طريف مؤسس دولة برغواطة .

وأنصار هذا الرأى أ.د. السيد عبد العزيز سالم (٨٥) ، ود. محمد عبد الحميد عيسى (٨٦) .

أما **الفريق الثالث** من الباحثين فيرى أن طريف حليف ميسرة ومؤسس الدولة البرغواطية اسمه طريف بن شمعون بن اسحق بن يعقوب ، وانه كان يهودياً من مدينة برباط التابعة لكورة شذونة بالاندلس ، وأنه اعتنق الاسلام .

ويأخذ بهذا الرأى الاستاذ محمد عبد الله عنان (٨٧) ، والدكتور حمدى عبد المنعم حسين (٨٨) . وباستطلاع آراء هؤلاء الباحثين وبالرجوع الى المصادر

العربية التى استندوا عليها نجد أنها تتناقض جميعاً فيما بينها بحيث يصبح من المتعذر التوصل الى حقيقة شخصية طريف مؤسس دولة برغواطة .

وأميل إلى الاعتقاد بأن طريف مؤسس دولة برغواطة شخص آخر غير طريف الذى قاد الحملة الاستطلاعية الى جزيرة لاس بالوماس لعدة اسباب (*) منها :

أولاً : من الطبيعى أن يكون قائد هذه السرية التى سيرها موسى بن نصير للاستيثاق من صدق نوايا يليان صاحب سبتة ، عربى الاصل وموضع ثقة موسى بن نصير لكى يعتمد عليه فى هذه المهمة ويقدم تقريراً صادقاً الى موسى بن نصير عن احوال الاندلس السياسية والعسكرية قبل ان يغامر موسى بجيش المسلمين فى بلاد يفصلها عن بلاد المغرب بحر شديد الاهوال (٨٩) .

ثانياً : أن معظم المصادر العربية تؤكد أن طريف قائد الحملة الاستطلاعية الى الاندلس فى سنة ٩١ هـ هو طريف بن مالك أو ملوك المعافرى أو النخعى (وهو فى كل من النسبين عربى الاصل) وأنه يكنى بأبى زرعة ، وكان من موالى موسى بن نصير .

ومن بين الروايات التى تنص على أن طريف عربى الاصل رواية للرازى ذكر فيها أن صاحب الحملة الاستطلاعية الى الاندلس هو ابو زرعة طريف بن مالك المعافرى (٩٠) .

ومنها رواية وردت فى كتاب "اخبار مجموعة" نطالع فيها «فبعث (موسى) رجلاً من مواليه ، يقال له طريف ، ويكنى بأبى زرعة فى أربعمائة ومعهم مائة فرس فى أربعة مراكب حتى نزل بمراكبه جزيرة يقال لها جزيرة الاندلس التى هى معبر مراكبهم ودار صناعتهم ، يقال لها : جزيرة طريف ، سميت به لنزوله فيها »(٩١) .

ورواية اخرى لابن الكردبوس تنسب طريف الى قبيلة معافر اليمنية ، والنص الذى اورده ابن الكردبوس كما يلى : «ثم اجتمع ناس من البربر نحو ثلاثة آلاف راجل وقدموا عليهم أبا زرعة طريف بن مالك المعافرى ، وجاز بهم ، فحل فى جزيرة سميت طريفاً فثبت لها هذا الاسم الى اليوم ... » (٩٢) .

أما الحميرى فقد اورد الخبر على النحو التالى «فبعث موسى عند ذلك رجلاً من مواليه من البربر إسمه طريف بن مالك المعافرى ، يُكنى أبا زرعة فى أربعمائة رجل يغير بهم ، ونزل فى الجزيرة المنسوبة إليه ، ثم اغار على الجزيرة الخضراء»(٩٣) .

ونلاحظ ان الحميرى بينما يذكر فى الشطر الاول من روايته أن طريف كان بربرياً فإنه فى الشطر الثانى ينسبه الى قبيلة معافر اليمنية ، وفى ذلك ما يشير إلى أنه قد يكون عربياً أو أنه كان مولى من موالى قبيلة معافر فنسب اليها وألحق بها .

ومن الروايات التى تنسب طريف الى النخع رواية لابن خلدون يسميه فيها طريف بن مالك النخعى (٩٤) .

ثالثاً : ومما يؤكد رأيى السابق كذلك ويرجحه ما اورده كل من ابن خلدون والسلاوى الناصرى فيما يتعلق بكنية طريف مؤسس دولة برغواطة ، فبينما يذكر ابن خلدون ان طريف اول ملوك برغواطة كان يدعى ابو صالح (٩٥) ، يذكر السلاوى انه كان يكنى بأبى صبيح (٩٦) .

ونميل من ناحيتنا الى ترجيح كنية ابى صبيح التى كناه بها السلاوى ، إذ ان إسم ابا صالح الذى ذكره ابن خلدون لا يشير الى كنية ، ذلك لان طريف كان له بالفعل ولد إسمه صالح ، شارك معه فى ثورة ميسرة المطغرى ، وسيخلف هذا الابن والده فى حكم برغواطة ، وسيكون له الدور الاعظم فى إرساء دعائم عقيدة برغواطة الخارجة عن الدين الاسلامى ، ولذلك فمن الطبيعى أن يقال أن طريف هو ابو صالح .

ويتضح لنا مما سبق عرضه أن طريف صاحب الحملة الاستطلاعية الى الاندلس سنة ٩١ هـ ، ويكنى بأبى زرعة كان شخصاً اخر غير طريف مؤسس دولة برغواطة الذى كان يكنى بأبى صبيح .

رابعاً : أن المصادر التاريخية التى تضمنت نصوصاً تشير الى ان طريف صاحب الحملة الاستطلاعية على جزيرة طريف هو نفس طريف اول ملوك برغواطة ، وتتمثل فى كل من روايتى البكرى ، وابن عذارى ، تناقض نفسها

وتخالف بذلك المنطق .

فالبكري يورد رواية على لسان زمور البرغواطي رسول برغواطة الى الخليفة الاموى الحكم المستنصر بالاندلس أثناء زيارته له سنة ٣٥٢ هـ يذكر فيها «أن طريفاً أبا ملوكهم من ولد شمعون بن يعقوب بن اسحق ، وانه كان من اصحاب ميسرة المطغرى المعروف بالحقير ، ومغرور بن طالوت ، والى طريف نسبت جزيرة طريف ، فلما قتل ميسرة وافترق اصحابه ، احتل طريف بلد تامسين ، وكان إذ ذاك ملكاً لزناتة وزواغة ، فقدمه البربر على انفسهم وولى امرهم ، وكان على ديانة الاسلام ..» (٩٧) . ونخرج من هذه الرواية ان طريفاً المذكور هو نفس طريف صاحب ميسرة وأنه هو نفسه طريف صاحب الحملة الاستطلاعية على جزيرة طريف ، وأنه من ولد شمعون بن يعقوب (أى أنه يهودى الاصل) وأنه كان على ديانة الاسلام .

ثم يسوق فى موضع آخر رواية تتضمن ما يفيد بأن أصل هذه الاسرة «من شذونة من وادى برباط» بالاندلس (٩٨) .

وأتساءل كيف يكون طريف من برباط بالاندلس ، وملكاً على بربر زناتة وزواغة ، وفى نفس الوقت من ولد شمعون بن يعقوب (وهو اسم ليهودى) ، وعلى ديانة الاسلام ؟ ومن الممكن أن نخرج من النصين سالفى الذكر بأن يكون طريف من أصل يهودى ، ولكنه اعتنق الإسلام بعد الفتح الإسلامى للأندلس مثلاً ، وفي هذه الحالة لا يمكن أن يكون طريف هذا هو نفس طريف بن مالك صاحب الحملة الإستطلاعية على جزيرة لاس بالوماس التى سميت باسمه ، فمن المنطقى ألا يثق موسى بن نصير على الإطلاق فى مصداقية رجل يهودى الأصل ، أندلسى الوطن ، يعهد إليه بقيادة الحملة الإستطلاعية إلى الأندلس .

وهناك ملاحظة ثانية تتمثل فى أن ما أورده البكرى من أخبار عن طريف إنما أوردها على لسان زمور البرغواطى . ومن الطبيعى أن يحاول زمور البرغواطى أن ينسب لملوك برغواطة ، أصولاً تاريخية عريقة ، وبطولات مجيدة ، عندما يسأله الحكم المستنصر عن أحوال بلاده وماضيها ، فيربط بين طريف أول ملوك برغواطة ، وبين البطل الإسلامى الشهير الذى سبق أن أثبتنا أنه عربى الأصل ، وليس من أصول يهودية أندلسية ، ولا بربرية .

أما ابن عذارى فيذكر فى الجزء الثانى من كتابه «البيان المغرب» أن موسى بن نصير أرسل «رجلاً من البربر يسمى طريفاً ويكنى أبا زرعة فى مائة فارس وأربعمائة رجل» على رأس حملة إستطلاعية إلى الأندلس ، وأن اسم طريف قائد هذه الحملة أطلق على الجزيرة التى نزل بها (٩٩) .

ثم يذكر فى الجزء الأول من نفس الكتاب أن طريف مؤسس برغواطة «من ولد شمعون بن إسحق عليه السلام ...» (١٠٠) . وفى موضع آخر من نفس الجزء الأول يورد الرواية التى سبق أن أوردها البكرى على لسان زمور «أن طريفاً كان أبا ملوكهم ، وهو من ولد شمعون بن يعقوب بن إسحاق ـ عليهم السلام ـ قال : وكان طريف من أصحاب ميسرة ملك المغرب الذى تقدم ذكره ، فلما قتل ميسرة وافترق أصحابه ، احتل طريف ببلاد تامسنا ، فقدمه البربر على أنفسهم فولى أمرهم ، وكان على دين الإسلام ، وإليه تنسب جزيرة طريف ...(١٠١)» .

ونخرج من الرواية التى ساقها ابن عذارى بأنه خلط بين جميع الروايات التى أوردها من سبقه من المؤرخين ، فقد اقتبس نتفاً من رواية البكرى ، على لسان زمور ، باستثناء ما يتعلق بأصل طريف الذى يجعله ابن عذارى بربرياً وليس أندلسياً كما أشار البكرى ، وربما اعتمد فى ذلك على ابن حوقل . وأياً ما كان الأمر فإن طريف حتى لو كان بربرياً من أصول يهودية ، ودان بالإسلام ، فإن موسى بن نصير ، لم يكن ليرضى أن يسند إليه قيادة الحملة الإستطلاعية للأندلس ، وواضح كما سبق أن أشرت أن زمور كان يحاول تفخيم أصل ملوك برغواطة .

خامساً : يذكر د. محمود إسماعيل أحد الباحثين من الفريق الأول أن طريف ، هو طريف بن ملوك ، وكنيته أبو صالح وأنه كان يتمتع بشهرة طيبة بين بربر المغرب الأقصى لبلائه فى افتتاح الأندلس ، إذ تولى قيادة البرغواطيين فى الحملة التى أنفذها موسى بن نصير بقيادة طارق بن زياد ، وأن إطلاق إسم طريف على إحدى جزر الأندلس قد خلد هذه الشهرة (١٠٢) .

ويستند دكتور محمود إسماعيل فى ذلك على ما أورده كل من ابن عذارى

وابن خلدون ، فبالنسبة إلى ابن عذارى فقد سبق أن ناقشنا روايته فى هذا الموضوع . أما فيما يتعلق بابن خلدون فإنه لم يشر إطلاقاً إلى وجود ثمة صلة بين طريف صاحب الحملة الإستطلاعية إلى الأندلس ، وبين طريف ملك برغواطة بل أن ابن خلدون ذكر صراحة فى الجزء الرابع من كتابه «العبر» أن طريف الذى عبر إلى الأندلس هو طريف بن مالك النخعى أى أنه عربى كما سبق أن أوضحنا وهذا لا يتفق مع ما وصف به طريف حاكم برغواطة ، ففى الجزء السادس من كتاب العبر يصف ابن خلدون طريف حاكم برغواطة بأنه بربرى من مطغرة «وكان كبيرهم لأول المائة الثانية من الهجرة طريف أبو صالح ، وكان من قواد ميسرة الحقير ، طريف المطغرى القائم بدعوة الصفرية ، ومعهما معزوز بن طالوت ثم انقرض أمر ميسرة والصفرية ، وبقى طريف قائماً بأمرهم بتامسنا (١٠٣) ...» وفى موضع آخر من نفس الجزء يصف ابن خلدون طريف ملك برغواطة بأنه بربرى من برغواطة المصمودية . يقول ابن خلدون «وإنما نسب الرجل فى برغواطة وهم من شعوب المصامدة معروف ... (١٠٤)» . وإذا كان ابن خلدون ينسبه فى النص الأول إلى مطغرة ، رغم تأكيده فيما بعد فى أكثر من موضع على نسبته لمصمودة ، فإن سبب ذلك يرجع فيما يبدو إلى الحلف القوى الذى كان يربط بين مطغرة وبرغواطة منذ اشتعال ثورة ميسرة المطغرى الصفرى على العرب ، واستمر هذا الحلف قائماً طوال العصر الإسلامى (١٠٥) .

ولم يذكر ابن خلدون مطلقا أن طريف قاد البرغواطيين فى الحملة الإستطلاعية التى قادها إلى الأندلس ، وإنما ذكر فى سياق حديثه عن غمارة من بطون المصامدة : «وللمسلمين فيهم أزمان الفتح ، وقائع الملاحم وأعظمها لموسى بن نصير ، وهو الذى حملهم على الإسلام ، واسترهن أبناءهم ، وأنزل منهم عسكراً مع طارق بطنجة ، وكان أميرهم لذلك العهد يليان ، وهو الذى وفد عليه موسى بن نصير ورغبه فى غزو الأندلس . وكان منزله سبتة كما تذكره ، وذلك قبل استحداث نكور ...»(١٠٦) .

سادساً : ليس من المنطقى أن نربط بين طريف صاحب الحملة الإستطلاعية إلى الأندلس سنة ٩١ هـ ، وبين طريف مؤسس دولة برغواطة الذى ظهر كحاكم سياسى فيما يقرب من عام ١٢٧ هـ لمجرد اشتراكهما فى نفس الإسم ، فقد يتفق

أكثر من شخص في حمل اسم طريف في فترة زمنية متعاصرة أو متقاربة ، وليس بالضرورة أن ينفرد شخص واحد بحمل إسم طريف خلال فترة زمنية تبلغ نحو ثلث القرن .

ويتضح لنا من ذلك كله أن طريف إسم لشخصين مختلفين .

أما طريف مؤسس دولة برغواطة فأعتقد أنه كان أندلسياً من أصل يهودي ومن برباط بالذات وأنه اعتنق الإسلام منذ بداية الفتح الإسلامي للأندلس ثم تحول نسبه البرباطي على لسان البربر إلى النسب البرغواطي ، وذلك استناداً إلى بعض النصوص التي استقيتها من المصادر العربية وعلى كثير من الأدلة التاريخية والمنطقية ، من ذلك الرواية التي أوردها الجغرافي البكري المعاصر لدولة برغواطة على لسان زمور والتي تحدثنا عنها في الصفحات السابقة والرواية التي وردت في موضع آخر من كتابه وذكر فيها أن أصل أسرة طريف من شذونة من وادي برباط [١٠٧] بالأندلس .

وقد يتساءل البعض لماذا نأخذ فقط بهذا النص الذي ساقه البكري على لسان زمور البرغواطي دون بقية النص الذي يدعي فيه أن طريف ملك برغواطة هو نفسه صاحب الحملة الإستطلاعية إلى الأندلس ؟؟

ونرد على هذا التساؤل بأنه ليست هناك أي مبالغة فيما ذكره زمور البرغواطي عن النسب اليهودي لطريف ، بل أنه كان من الأفضل لزمور أن يتجاهل هذا الأصل اليهودي لطريف في سياق حديثه مع خليفة الأندلس عن نسب ملوكه . وربما أحس زمور ببعض الحرج في ذكره للأصل اليهودي لبني طريف وأن ذلك قد يثير مشاعر خلفاء الأندلس عليه فتدارك الأمر وبادر بنسج هالة تاريخية وبطولة زائفة حول شخصية طريف ، أول ملوك برغواطة ، ليزيل الشكوك والشبهات التي قد تكون قد تولدت عند المستنصر ، فادعى أن طريف البرغواطي هو نفسه طريف القائد الإسلامي الشهير [*] .

كذلك يذكر ابن أبي زرع أن أصل طريف ملك برغواطة «لعنه الله من برناط (يقصد برباط) حصن عمل شذونة من بلاد الأندلس ، فكان يقال من تبعه ودخل في ديانته برناطي ، فعربته العرب ، وقالوا برغواطي ، فسموا برغواطة ،

وكان صالح بن طريف الذى ادعى فيهم النبوة رجلاً خبيثاً يهودى الأصل من ولد شمعون بن يعقوب عليه السلام ، نشـأ ببرباط من بلاد الأندلس ثم رحل إلى المشـرق ...» [١٠٨] .

وجاء فى كتاب نبذ من مفاخر البربر ما يؤكد ذلك ويتمثل فى رواية نطالع فيها ما يلى «وأصل أمامهم الذى شرع لهم ديانتهم وهو صالح بن طريف من وادى برباط من الأندلس ، فقيل لكل من دخل فى ديانته برباطى ، فأحالته العرب بألسنتها فقالت برغواطى ، وكان ظهور برغواطة فى سنة ١٢٧ هـ فى خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان واستقر ملكهم آخراً بتامسنا وهم فى الأصل من زناتة ....[١٠٩]» .

ويورد السلاوى نصاً يتفق مع ما أوردته المصادر السابقة فيذكر أن صالح ابن طريف «يهودى الأصل من سبط شمعون بن يعقوب عليه السلام ، نشأ ببرباط ، حصن من عمل شذونة من بلاد الأندلس ...[١١٠]» .

ولكن ابن الخطيب يقف من ذلك موقفاً حيادياً ، فقد أورد كل الآراء التى جاءت فى نسب طريف دون أن يبدى رأيه . فيذكر أن صالح بن طريف هذا كان مصمودى الأصل ثم يضيف بقوله «وقيل إسرائيلى الأصل ، نشأ بقرية برباط من الأندلس ... [١١١]» .

أما المصادر التى اعتبرت طريف أول ملوك برغواطة من البربر ، فأهمهم : ابن حوقل ، وابن عذارى ، وابن خلدون .

أما ابن حوقل فيذكر أن صالح كان إبناً لرجل اسمه عبد الله ، وليس لطريف ، وأنه كان «بربرى الأصل ، مغربى المولد ، مضطلعاً بلغة البربر يفهم غير لسان من ألسنتهم ، فدعاهم إلى الإيمان به ... [١١٢]» .

ومن الواضح أن ابن حوقل غير دقيق فيما أورده عن نسب صالح بن طريف ، فقد أخطأ فى اسم طريف ، ربما لأن ابن حوقل جغرافى قبل أن يكون مؤرخاً ثم أنه مشرقى لا يعتد بما يسوقه من أخبار تاريخية عن المغرب والأندلس ، ولهذا السبب فإننا لا نثق كثيراً برواياته التاريخية .

أما ابن عذارى فقد أورد اسم طريف كما سبق أن ذكرنا على أنه من نسل يعقوب عليه السلام أى أنه يزعم أنه يهودى الأصل ، وفى نفس الوقت يذكر أن طريف بربرى ، وقد سبق أن ناقشنا رأيه وأثبتنا أن روايته تتضمن بعض التناقض الواضح .

وأما ابن خلدون فقد رفض الرأى القائل بنسبة طريف صاحب برغواطة إلى الأندلس وأرجعه إلى برغواطة نفسها أى أنه من مصمودة ، وكانت حجته فى ذلك أنه لا يتم الملك والتغلب على النواحى والقبائل فى المغرب لدخيل أو غريب (١١٣) .

ونحن نرى أن ابن خلدون قد جانبه التوفيق فى هذا الحكم إذ أن وقائع التاريخ تثبت لنا أن كثيراً من الغرباء من العرب والفرس قد وفدوا إلى المغرب من مناطق نائية من المشرق ، وأنهم بدأوا يجتذبون حولهم الأتباع من البربر ويؤسسون دولاً فى بلاد المغرب ، ومن الأمثلة الدالة على ذلك دول قامت على أكتاف قادة من العرب أو دعاة من المشرق ومنها دولة الأغالبة فى تونس ، ودولة الأدارسة فى فاس ، والدولة الفاطمية فى رقادة والمهدية ، ودولة الرستميين فى تاهرت التى أسسها عبد الرحمن بن رستم الفارسى (١١٤) .

ومما يؤكد رأيى فى أن طريف يرجع إلى أصول يهودية قبل أن يقدم على اعتناق الإسلام أنه استوطن المغرب الأقصى فى تامسنا من إقليم فاس الذى كان معروفاً بكثرة العناصر اليهودية والمجوسية والمسيحية التى تعيش فيه ، أكثر من غيره من بلاد المغرب ، يؤكد ذلك النص الذى أورده ابن أبى زرع عند حديثه عن بناء مدينة فاس ، فهو يقول «قيل كان يسكن مدينة فاس قبيلتان من زناتة وزواغة ، وبنويرغش ، وكانوا أهل أهواء مختلفة منهم على الإسلام ، ومنهم على النصرانية ومنهم على اليهودية ، ومنهم على المجوسية ، وهم بنو يرغش ، وكانوا يسكنون بخيامهم بحومة عدوة الأندلس ... (١١٥)» .

ويؤكد ابن أبى زرع فى موضع آخر من كتابه عند وصفه لفاس بعد تأسيسها فيقول «فاجتمع بها (فاس) خلق كثير من اليهود ممن رغب فى العافية ، فأنزلهم بناحية أغلان إلى باب حصن سعدون ... (١١٦) » . وكان

عدد اليهود بإقليم فاس يقدر بالألوف ، وقد استنتجنا ذلك من خلال ما أورده ابن أبى زرع فى معرض حديثه عن هجوم الأمير أبى الكامل تميم بن زمور الزناتى اليفرنى ، أمير بنى يفرن ، على فاس سنة ١٢٤ هـ فيقول «فأوقع فيها باليهود وسبى نساءهم فقتل منهم خلقاً كثيراً يزيدون على الستة آلاف يهودى ، وأخذ أموالهم وسبى نساءهم .... (١١٧)» . وكذلك قوله فى سياق سرده لفتوح إدريس بن عبد الله بن الحسن ، فى إقليم السوس الأدنى «ثم فتح بعدها سير بلاد تامسنا ثم سار الى تادلا ففتح معاقلها وحصونها وكان أكثر هذه البلاد على دين النصرانية واليهودية .... (١١٨)» .

ويتفق ابن خلدون مع ابن ابى زرع فى توفر العناصر اليهودية والمجوسية والمسيحية فى تلك المناطق فيذكر أنه «لما استوثق أمر إدريس وتمت دعوته زحف إلى البرابرة الذين كانوا بالمغرب على دين المجوسية واليهودية والنصرانية مثل فندلاوة وبهلوانه ومديونه ومازار ، وفتح تامسنا ومدينة شالة وتادلا وكان أكثرهم على دين اليهودية والنصرانية ، فأسلموا على يديه طوعاً وكرهاً ، وهدم معاقلهم وحصونهم .... (١١٩)» .

ومن المعروف أن تحول المغرب كله الى الإسلام ، لم يتم إلا فى القرن الرابع الهجرى إذ ظلت بعض المناطق والمدن تحتفظ بأعداد كبيرة من التجمعات المسيحية واليهودية ، كما كانت لا تزال توجد أعداد قليلة من التجمعات البربرية فى المناطق الجبلية المتطرفة على عقائدها البربرية القديمة (١٢٠) . وكان هؤلاء جميعاً يعيشون فى عزلة عن المجتمع المغربى ، وساعدهم على ذلك وبصفة خاصة اليهود فى السوس الاقصى والادنى والطبيعة الجغرافية ، حيث أن جبال أطلس كانت تحيط بسهول تلك المنطقة مما جعلهم يعيشون فى مناطق معزولة ومحمية طبيعياً (١٢١) . وقد عملت أقلية من هؤلاء اليهود بالتجارة .

ويبدو أن مؤسس هذه الدولة ، وهو طريف بن شمعون انتقل من الأندلس إلى المغرب قبل الفتح الإسلامى مباشرة لأمر ما لا نعرفه ، ربما (١٢٢) لاضطهاد القوط لليهود فى الأندلس ، أو بعد الفتح الاسلامى مباشرة ، ونزل فى المغرب الأقصى فى منطقة تامسنا مقر المصامدة ، ثم اعتنق الإسلام فى ولاية موسى

ابن نصير على المغرب ، وعندما احتدمت نيران ثورة البربر على العرب فى المغرب الأقصى اعتنق المذهب الصفرى شأن غيره من خوارج المغرب طلاب العلم أمثال ميسرة المطغرى وعبد الرحمن بن رستم الاباضى ، وشارك فى الثورة ، والظاهر أن ميسرة الحقير المطغرى استوزر ابنه صالح فى المغرب الأقصى كما يذكر ابن الخطيب (١٢٣) . لما عهدوه من ذكائه الخارق وقدراته العالية فى السيطرة على عقول البربر وما أثبته من مهارة فى السحر والحيل (١٢٤) .

ذلك هو فى تصورى السبب فى أن أهل المغرب لم يترددوا فى أن ينسبوه إليهم أو ينتسبوا هم إليه ، بعد أن أثبت أنه أهل لرئاستهم ، فشاع عنه منذ ذلك الحين أنه مصمودى فى نفس الوقت الذى عرفوا فيه بأنهم «برغواطيين» تحريفاً من «برباطيين» (١٢٥) .

والظاهر أن جماعة من البرغواطيين المصامدة أتباع بنى طريف بن شمعون انتقلوا فى بداية عصر الدولة الأموية إلى أشونة (١٢٦) إحدى مدن جنوب الأندلس وتقع على مقربة من شذونة وبرباط ، وهى البلدة التى أشارت بعض الروايات التاريخية أنها مسقط رأس طريف مؤسس دولتهم ، وقدر لهم أن يصبحوا أمراء أشونة ، وهم الذين أسسوا مدينة سالم (١٢٧) *Medinaceli* ، فى الأندلس ، هذا وقد ارتبطت دولة برغواطة فى المغرب بعلاقات طيبة مع دولة بنى أمية فى الأندلس فى عصر الإمارة ، بدليل أن صالح بن طريف أوصى ولده الياس بموالاة صاحب الأندلس من بنى أمية (١٢٨) . كل ذلك يدعونا إلى الاعتقاد بالأصل الأندلسى لبنى طريف ملوك برغواطة .

٤ - ملوك برغواطة : سياستهم الخارجية وملامح من فكرهم العقائدى

قبل أن نبدأ باستعراض أهم ملامح الفكر العقائدى لبرغواطة علينا أن نوضح أن هذا الفكر قد مر بمراحل مختلفة منذ أن تأسست الدولة على يد طريف ابن شمعون الى أن سقطت ككيان سياسى مستقل على أيدى المرابطين . وعلى الرغم من إزالة المرابطين لهذه الدولة إلا أن وميضاً من نارها ظل باقياً تحت الرماد ، وأوشك هذا الوميض أن يضطرم فى عصر الموحدين ، وذلك عندما تمردت طائفة من بقايا برغواطة على دولة الموحدين ، وشاركوا فى ثورة الماسى

والصحراوى ، غير أن تلك الحركة لم تكن سوى صحوة الموت فقد تمكنت السلطات الموحدية من إخمادها سريعاً . لذلك رأيت أن أتتبع عهود أشهر ملوك برغواطة وحكامها حتى بداية عصر دولة المرابطين ثم أنتقل بعد ذلك إلى دراسة أهم مناحى الفكر الدينى لبرغواطة وتطوره حتى خمود حركتهم .

ا - أهم ملوك برغواطة حتى بداية العصر المرابطى:

(١) طريف بن شمعون

انسحب طريف بن شمعون من طنجة بعد مصرع صاحبه ميسرة المطغرى على أيدى المتطرفين من ثوار البربر سنة ١٢٢ هـ ، وربما تم ذلك قبل وقوع موقعة الأشراف احتجاجاً على غدر أصحاب ميسرة بزعيم من كبار زعمائهم الخوارج ، ولهذا نرجح أنه آثر الإنزواء والإعتزال بعيداً عن الأنظار ، ربما لتنفيذ خاطر خطر له أو خطة أعدها ، ونميل إلى الإعتقاد بأنه لم يشترك مع خالد بن حميد الزناتى فى موقعة الاشراف أو حتى فى موقعة بقدورة التى دارت بعد ذلك وانتهت بهزيمة نكراء للعرب الشاميين والبلديين (*) ، واختار طريف لإقامته إقليم تامسنا الذى كان يتولاه صالح بن طريف من قبل ميسرة ، فقد كان ميسرة قد استوزر صالح ولد طريف فى هذا الإقليم «وكتب له كتاباً إلى أهل تامسنا وقومه من زناتة البربر يوصيهم به ويصف فضله وعلمه ... (١٢٩)» .

وجد طريف أن مهمته فى تأسيس دولة له ولأبنائه من بعده فى هذا الإقليم مهمة سهلة ، فقد كان أهل تامسنا قد ارتبطوا نفسياً وروحياً به وبولده صالح . ويكتنف هذه المرحلة التأسيسية الأولية لدولة برغواطة ستار من الغموض ، إذ أن المصادر العربية تضطرب فى سرد أحداثها وتخلط بين دور طريف بن شمعون فى تأسيس هذه الدولة وتشريع عقائدها ، وبين دور ولده صالح .

ويذكر كل من البكرى وابن عذارى (١٣٠) ، وابن خلدون (١٣١) أن طريف بن شمعون ، أبو صالح انسحب إلى تامسنا عقب مقتل ميسرة وكان ذلك فى سنة ١٢٢ هـ ، حيث كانت قبائل البربر تعانى من الجهل الشديد ، فقام فيهم ، ودعا الى نفسه ملكاً ، فبايعه أبناء تلك المنطقة وقدموه على أنفسهم ، فانتهز ثقتهم به ، وبدأ يشرع لهم الشرائع الجديدة .

ولم يحدد المؤرخان المغربيان العام الذى توفى فيه طريف ، وإن كان ابن عذاري يذكر أنه «مات بعد مدة ، وخلف من الولد أربعة ...» (١٣٢) .

(٢) صالح بن طريف

ولا نستطيع أن نقرر على وجه الدقة ، العام الذى توفى فيه طريف ، ويخلفه فيه ابنه صالح على حكم برغواطة ، إذ أن ابن الخطيب يرى أن صالح تولى حكم برغواطة سنة ١٢٢ هـ ، وإنه استمر فى ملكه نحواً من ست سنين إلى أن توفى فى عام ١٢٨ (١٣٣) هـ . ويذكر ابن الخطيب أن صالح بن طريف هو الذى شرع الشرائع لدولة برغواطة وأنه خرج بها عن تعاليم الإسلام ، وكانت بداية ظهور هذه التشريعات فى عـام ١٢٥ هـ (١٣٤) ويتفق معه ابن أبى زرع فى ذلك (١٣٥) .

فى حين يذكر ابن خلدون أن عام ١٢٧ هـ يسجل بداية ظهور صالح فى خلافة هشام بن عبد الملك (١٣٦) . ويتفق معه فى ذلك صاحب نبذ من مفاخر البربر (١٣٧) . ويؤكد ابن خلدون (١٣٨) أن صالح استمر يحكم برغواطة ٤٧ عاماً ، فتكون نهاية حكمة بذلك عام ١٧٤ هـ .

وفى نفس الوقت ينسب كل من البكرى (١٣٩) وابن الخطيب (١٤٠) وابن أبى زرع (١٤١) ، وصاحب نبذ من كتاب مفاخر البربر (١٤٢) الى صالح بن طريف بن شمعون الفضل الأول فى اعلان قيام دولة برغواطة وفى تشريع شرائعها المتطرفة . ويؤكد أقدمهم وهو البكرى أن طريف بن شمعون ، أبا ملوكهم وأول من ولى أمرهم ، كان يدين بالاسلام (١٤٣) .

ويتبين لنا مما سبق اختلاف الآراء حول «مؤسس دولة برغواطة هراطقة المغرب الاسلامى» هل هو طريف بن شمعون أم ابنة وخليفته صالح ؟؟ وللتوفيق بين كل هذه الآراء المختلفة نرجح أن يكون طريف بن شمعون هو المؤسس الحقيقى لدولة برغواطة وواضع حجر الأساس فى عقائد هذه الدولة وتشريعاتها وفقاً لما ذكره ابن خلدون وابن عذارى ، والمعروف عنه أنه كان مسلماً وأنه اعتنق الفكر الخارجى الصفرى . فلم يذكر أى من المصادر باستثناء ابن خلدون(١٤٤) أنه تنبأ أما بقية المصادر فتجمع على أن ولده صالح هو الذى تنبأ ، وقياساً على ذلك

يكون طريف هو المؤسس الأول لهذه الدولة الذى أرسى دعائمها وشرع قوانينها . ويبدو أن العمر لم يطل به، فخلفه ولده صالح الذى كان الساعد الايمن لأبيه منذ أن اشتركا معاً فى ثورة ميسرة المطغرى ضد العرب لما اتسم به من ذكاء وعلم، وأصبح صالح بذلك ثانى ملوك هذه الدولة، وأميل الى اعتباره المشرع الحقيقى لشرائعها، والمخطط لفكرها العقائدى، كما أن من الثابت ادعاءه النبوة كما سنوضح بالتفصيل عند تعرضنا لذكر عقيدة برغواطة فى الصفحات التالية .

ومما يؤكد دور طريف بن شمعون فى ارساء دعائم دولة برغواطة أن ملوك برغواطة نسبوا اليه هو ، ولم ينسبوا الى ابنه صالح فعرفوا ببنى طريف (١٤٥) وخلف صالح على حكم برغواطه ولده الياس .

وقبل أن نسدل الستار على عهد صالح بن طريف نجد لزاماً علينا معالجة قضية هامة تتلخص فيما يلى :

تذكر معظم المصادر العربية، واهمها البكرى (١٤٦) ، وابن عذارى (١٤٧) ، وابن خلدون (١٤٨) ، وابن الخطيب (١٤٩) أن حكم صالح لبرغواطة ينتهى نهاية غامضة، فقد رحل إلى المشرق فى أواخر عهده بعد أن أوصى ولده الياس بموالاة حاكم الأندلس من بنى أمية، وبأن يحافظ على عقيدة برغواطة، ولايظهرها إلا إذا أحس بقوته ، ووعد صالح ولده الياس بأنه سوف يرجع من غيبته فى دولة السابع من ملوكهم، وزعم لولده الياس أنه المهدى الذى يكون فى آخر الزمان لقتال الدجال ، وأن عيسى عليه السلام، سيكون من رجاله يصلى خلفه. ومنذ ذلك الحين اختفى صالح ولم يعد أحد يعرف عنه شيئاً. وتبين لنا من خلال النصوص التى أوردتها هذه المصادر، وضوح التأثيرات الشيعيه والدرزيه فى فكر برغواطه العقائدى فى هذه المرحله .

ويثير د. محمود اسماعيل فى بحثه «حقيقة المسألة البرغواطية» قضية هامة للمناقشة ، فهو يرفض تماماً ماجاء فى هذه المصادر، خاصاً باختفاء صالح برحيله إلى المشرق فى أواخر عهده ، ويرى أن رحلته إلى المشرق حدثت فى عهد أبيه طريف، ويستند د. محمود اسماعيل فى ذلك على نص أورده ابن حوقل (١٥٠) ، وعلى رواية لأبى العباس فضل بن مفضل بن عمرو المذحجى

أوردها البكرى [١٥١] عن رحيل يونس حفيد صالح بن طريف من ملوك برغواطة الى المشرق، غير أنه استشهد بهذه الرواية بعد أن عدل فيها، فذكر أن المذحجى التبس عليه الأمر ، وخلط بين يونس وجده صالح، وأن المذحجى كان يقصد صالحاً وليس يونس فى الرحلة إلى المشرق، وحجته فى ذلك أن المذحجى أورد مايدل على أن يونس أخذ على غيلان الدمشقى فى المشرق، وأن غيلان لم يكن على قيد الحياة فى عهد يونس ، ومن ذلك يستنتج الدكتور محمود اسماعيل أن رحلة صالح الى المشرق حدثت قبل أن يتولى حكم تامسنا، فذهب الى الشام، وسمع من غيلان الدمشقى ثم رحل الى العراق ، وفقاً لما ذكره ابن حوقل، وتبحر فى علوم الخوارج، ثم عاد إلى تامسنا ليحكمها على المذهب الخارجى الصفرى، وأنه ظل يحتفظ بهذا المذهب الصفرى، ولم يرتد عن الاسلام [١٥٢] .

وأعتقد أن ماذكرته المصادر بشأن خروج صالح الى المشرق الاسلامى واختفائه فى أواخر عهده صحيح، لاجماع معظم المصادر عليه، ولأن هذه المصادر ذكرت أن السابع من ملوك هذه الأسرة الحاكمة وهو أبو منصور عيسى، ظل ينتظر عودة صالح . وفى نفس الوقت لاترفض رأى الدكتور محمود اسماعيل فيما يتعلق برحيل صالح الى المشرق فى بداية حياته للدراسة والعلم اى قبل أن يتولى حكم برغواطة ، فيكون صالح بذلك قد رحل الى المشرق مرتين، مرة فى بداية حياته، ومرة فى أواخر عهده. وتوصلنا لهذا الرأى لاينفى مايلى :

(١) صحة رواية المذحجى التى أوردها البكرى بشأن سفر يونس حفيد صالح إلى المشرق حيث أنها وردت فى معظم المصادر العربية الأخرى مثل البيان لابن عذارى [١٥٣] والعبر لابن خلدون [١٥٤] . واذا كان غيلان الدمشقى قد توفى قبل أن يتولى يونس أمر برغواطة فإن هذا لايتعارض مع ماذكره المذحجى من أن يونس «طلب علم النجوم والكهانه والجان، ونظر فى الكلام والجدال وأخذ ذلك عن غيلان» ، فمن المحتمل أن يكون يونس قد أخذ العلم عن غيلان من كتاباته أو عن طريق تلاميذه وليس بالضرورة عنه شخصياً، فالمذحجى لم ينص على لقاء يونس لغيلان شخصياً .

(٢) يذكر د. محمود اسماعيل أن رحيل صالح الى المشرق تم فى حياة أبيه وإبان توليه برغواطه ، ويذكر «أنه درس شيئاً من النجوم وعمل التقاويم والمواليد وأصاب فى أكثر أحكامه ثم عاد الى تامسنا ليتقلد الحكم بعد والده الذى يمتد به العمر طويلاً» ويرى بناء على ماذكره ابن الخطيب (١٥٥) أن طريف توفى فى عام ١٢٢هـ، وهو نفس العام الذى أسس فيه دولة برغواطه على حد قول ابن حوقل .

وأعتقد أن رحيل صالح إلى المشرق فى المرة الأولى، حدث قبل أن يؤسس والده طريف دولة برغواطة سنة ١٢٢ هـ بمرحلة طويلة، بل قبل أن يشرع ميسرة فى ثورته، اذ ينص كل من البكرى وابن عذارى وابن خلدون وابن الخطيب على أن صالح اشترك فى الثورة الصفرية مع والده طريف وحليفه ميسرة (١٥٦) .

واذا كان طريف بن شمعون قد توفى فى نفس العام الذى أسس فيه دولته (١٢٢هـ) كما يذكر د. محمود اسماعيل ، فمتى رحل صالح اذن الى المشرق ؟؟ وهو الذى شارك فى كل مراحل ثورة ميسرة الذى لقى مصرعه فى سنة ١٢٢هـ ؟؟ وأرجح أن يكون صالح قد رحل الى المشرق طلباً للعلم بعد انتقال أبيه من الأندلس واستقرازه فى المغرب ، واستند فى ذلك على رواية لكل من ابن أبى زرع، وابن الخطيب أرجحها على رواية ابن حوقل الجغرافى المشرقى ، فابن أبى زرع يقول «وكان صالح بن طريف الذى ادعى فيهم النبوة رجلاً خبيثاً، يهودى الأصل، من ولد شمعون بن يعقوب عليه السلام، نشأ ببرباط من بلاد الأندلس، ثم رحل إلى المشرق فقرأ على عبيد الله المعتزلى القدرى ، واشتغل بالسحر، فجمع منه فنوناً كثيرة، وقدم المغرب، فنزل تامسنا، فوجد بها قبائل من البربر جهالاً، فأظهر لهم الاسلام، والزهد والورع، فأخذ بعقولهم، واستمالهم بسحره ولسانه، وأراهم من نوارصه وتمويهاته، فاستهواهم بذلك، وأقروا بفضله، واعترفوا بولايته» (١٥٧)

وتتفق هذه الرواية مع النصوص التي أوردها ابن عذاري وابن خلدون وابن لخطيب التى تفيد بأن قبائل تامسنا البربرية كانت من السذاجة بحيث تيسر صالح القادم من بلاد المشرق، بعد تعلمه فنون التأثير على البسطاء من الناس،

السيطرة على عقولهم، واستهوائهم بمعسول القول .

أما ابن الخطيب فيقول «وكان صالح هذا مصمودى الأصل، وقيل كان اسرائيلى، نشأ بقرية برباط من الأندلس، ورحل إلى المشرق، فقرأ على عبيد القدرى المعتزلى، واشتغل بالسحر، فمهر فيه، وقدم المغرب، فاستمال من لقيه بما أظهر من الاسلام والزهد والورع، فاستهواهم بالنيرجات والحيل والسحر، فأقروا بفضله، واعترفوا بولايته، فولوه على أنفسهم .... » (١٥٨) .

(٣) أعتقد أن صالح بن طريف بتعاليمه التى شرعها لبرغواطة، لم يعد مسلماً ، فقد تنبأ كما سنوضح فى الصفحات القادمة ، وبذلك تكون برغواطة قد خرجت من بين صفوف الدول الصفرية فى المغرب عن الاسلام ، بل ، اعتبر البرغواطيون ابتداء من عهده من هراطقة المغرب فى ذلك العصر .

(٣) الياس بن صالح البرغواطى

خلف الياس والده صالح بن طريف بن شمعون فى حكم دولة برغواطة ، وكان من أفضل ملوكهم وأزهدهم وأكثرهم عدلاً. وفى عهده دخل فى طاعته عدد كبير من أبناء زناته (١٥٩) . وطالت مدة حكمة الى خمسين عاماً (١٦٠) . وخلف بعد وفاته عدداً كبيراً من الأبناء، وكانت وفاته وفقاً لما أورده ابن الخطيب (١٦١) سنة ١٧٦ هـ ووفقاً لما أورده ابن عذارى سنة ١٧٣ هـ (١٦٢) .

(٤) يونس بن الياس البرغواطى

خلف الياس على دولة برغواطة ولده يونس، وتشير المصادر إلى أنه رحل كما سبق أن ذكرنا الى المشرق، وأنه أدى هناك فريضة الحج، وكان بذلك أول وآخر ملوك برغواطة، يؤدى هذه الفريضة (١٦٣) .

والظاهر أنه أدى فريضة الحج تظاهراً بالاسلام، وتستراً على نواياه الخبيثة، فقد طاف فى بلاد المشرق متردداً على مشاهير العلماء فى علم التنجيم والكهانة والجان والجدل والكلام. وكان يصحبه فى هذه الرحلة الى المشرق، جماعة من أصحابه بعضهم من الخارجين على الاسلام، وهم كما يقول البكرى نقلاً عن المذحجى « عباس بن ناصح، وزيد بن سنان الزناتى صاحب الواصلية، وبرغوث

ابن سعيد الترارى، وجد بنى عبد الرزاق، ويعرفون ببنى وكيل الصفرية، ومناد صاحب المنادية المنسوب اليه القلعه المعروفه بالمنادية، قريباً من سجلماسة، وآخر ذهب عنى اسمه (كما يذكر المدحجى) فاربعة منهم فقهوا فى الدين، وادعى ثلاثة منهم النبوة، منهم يونس صاحب برغواطة ... » . (١٦٤) ثم عاد يونس الى قومه فى المغرب، وتظاهر بادئ ذى بدء بالتقى والورع، بعد أن أدى فريضة الحج، ولكن سرعان ماكشف النقاب عن وجهه الحقيقى، وبدت نواياه التى تمثلت فى تلك الفترة أولاً فى توسيع رقعة دولة برغواطة سياسياً عن طريق بسط نفوذه على المناطق المجاورة ، وثانياً الاعلان عن ميوله الحقيقية فى الخروج عن تعاليم الدين الحنيف. وفى ذلك يقول ابن عذارى « فولى ابنه يونس بن الياس، وذلك بعدما وصل من المشرق، وحج، ولم يحج أحد من أهل بيته ، فأظهر ديانة جده ودعا اليها ... » (١٦٥) وربط هذين الهدفين بعضهما ببعض فأعلن النبوة (١٦٦) ، ونجح فى السيطرة على زناته الذين كانوا قد دخلوا فى فلك الدولة البرغواطية زمن والده الياس، ويبدو أن يونس كان يسعى الى استغلال العلاقة الطيبة التى كانت تربط بين أمراء الأندلس الأمويين وبين ملوك برغواطة منذ عهد صالح بن طريف بأن ينشر أفكاره الهدامة هناك، وأغلب الظن أنه لم يوفق فيما ذهب إليه ، لأن الأندلس كانت تخضع آنذاك للأمير هشام الرضا (١٧٢ - ١٨٠ هـ) ابن عبد الرحمن الداخل الذى كان معروفاً بورعه وتقواه ، كما أن الفقهاء المالكية شغلوا مكانه كبيرة فى عهده (١٦٧) .

لذلك صرف يونس جهوده فى نشر عقائده الهدامه فى زناته وبربر برغواطه بتامسنا ، وفى ذلك يقول البكرى «وكان يونس شرب دواء الحفظ فلقن كل ماسمع وحفظه، وطلب علم النجوم والكهانه والجان ، ونظر فى الكلام والجدال، وأخذ ذلك عن غيلان ، ثم انصرف يريد الأندلس ، فنزل بين هؤلاء القوم من زناته ، فلما رأى جهلهم استوطن بلدهم ، وكان يخبرهم بأشياء قبل كونها مما تدل عليه النجوم عندهم فتكون على ما يقول أو قريباً منه ، فعظم عندهم ، فلما رأى ذلك منهم وعرف ضعف حلومهم وسخافة عقولهم ، أظهر ديانته ودعا الى نبوته ... » (١٦٨) .

ويبدو أن يونس البرغواطى أحكم سيطرته على أهالى تامسنا ، وأثر فى

نفوسهم تأثيراً عميقاً بحيث أصبح يطلق على كل من تبعه «برباطى» وهو نفس لقب أسرة طريف، ثم تحرفت الكلمة كما سبق أن ذكرنا الى برغواطى فأطلق اسم الأسرة على القبيلة كلها (١٦٩) .

واتسم عهد يونس بن الياس بالاستبداد والعنف الشديد ، فكان يونس بعد أن تنبأ وأظهر دينه الجديد ، يقدم على قتل من لايقبل اعتناقه حتى أنه «أخلى ثلاث ماية مدينة ، وسبعا وثمانين مدينة حمل جميع أهلها على السيف لمخالفتهم اياه ، وقتل منهم بموضع يقال له تاملوكاب، وهو حجر نابت عالى فى وسط السوق سبعة الاف وسبع مائة وسبعين قتيلاً ، وقتل من صنهاجة خاصة فى وقعة واحدة ألف وغد ، والوغد عندهم ، المنفرد الوحيد الذى لا أخ له ولا ابن عم ، وذلك فى البربر قليل ، وانما أحصوا الأقل ليستدل به على الاعظم الأكثر ... » (١٧٠) ومع أن الأرقام الواردة فى النص مبالغ فيها إلا أنها تعبّر الى حد كبير عن جبروته وتسلطه . وقد توفى يونس بن الياس فى أواخر القرن الثانى وطليعة الثالث على وجه التقريب ، بعد أن حكم أربع واربعين سنة فى قول البكرى ، وأربعين سنة فى قول ابن عذارى ، وتسعة عشرة سنة فى قول ابن الخطيب ، الذى يذكر أنه توفى سنة ١٩٥ هـ .

ونستطيع أن نتبين من هذا العرض بداية اتساع رقعة دولة برغواطة منذ أن تولاها الياس ، وبلغت فى عهد يونس أقصى اتساع لها لتشمل المناطق والمدن المجاورة لها ، وكان يونس يتخذ من ديانته الجديدة ستاراً لبسط نفوذه على ماكان يجاوره من أقاليم . وكانت شاله على وادى الغبط من أسمير ، قاعدة مُلك يونس (١٧١) .

واتفق فى هذه المرحلة من تاريخ برغواطة أن نجح ادريس بن عبد الله بن الحسن فى الافلات من أيدى العباسيين والنجاة بنفسه فى أقصى بلاد المغرب ، ونزل فى وليلى سنة ١٧٢ هـ عند اسحق بن عبد الله الأوربى أمير أوربه وكبيرهم فى ذلك الوقت ، والتف حوله جموع كبيره من البربر لقرابته من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واجتمعت عليه قبائل أوربه ومغيلة وصدينة وتبعتها زناته وزواوة ولواتة وسدراتة ونفزة ومكناسة وغمارة ، وبايعته

بالإمامة [١٧٢] ، ويبدو أن تنافساً على السيادة فى المناطق الممتدة مابين تامسنا والسوس الادنى حدث بين الياس بن صالح ملك برغواطة ، وربما ولده يونس ، وبين ادريس الأول الحسنى ، خاصة بعد أن نجح الياس فى بسط نفوذ برغواطة على خلق كثير من زناتة على حد قول ابن الخطيب ، استكمله ابنه يونس كما سبق أن أوضحنا ، الأمر الذى دفع ادريس الى الاغارة على أراضى تامسنا وحصونها ، فافتتح شاله وامتد نفوذه حتى شمل تادلا ، وفى ذلك يقول ابن خلدون : «ولما استوثق أمر ادريس وتمت دعوته ، زحف الى البرابرة الذين كانوا بالمغرب على دين المجوسية واليهودية والنصرانية مثل فندلاوة، وبهلوانة ومديونة، ومازار، وفتح تامسنا ، ومدينة شالا وتادلا ... » [١٧٣] .

ويذكر ابن أبى زرع أن ادريس خرج غازياً «الى بلاد تامسنا ، فنزل أولاً بمدينة شالة ففتحها ثم فتح بعدها سائر بلاد تامسنا ، ثم سار الى بلاد تادلا ... » [١٧٤] .

ولانعرف على وجه التحديد اسم ملك برغواطة فى هذه الفترة ، بسبب اختلاف المصادر فى تحديد سنى حكم كل من ملوكهم : فابن الخطيب يذكر أن وفاة الياس حدثت سنة ١٧٦ هـ بينما يجعلها ابن عذارى فى سنة ١٧٣ هـ . وفى نفس الوقت لانعرف على وجه الدقة تاريخ سنة وفاة ادريس الأول ، فبينما يذكر ان ابى زرع أنه توفى فى سنة ١٧٧ هـ [١٧٥] ، يحدد البكرى وفاته سنة ١٧٥ هـ [١٧٦] . وأيا ما كان تاريخ وفاته ، فليس من شك فى أن ادريس الأول هاجم برغواطة فى عهد الياس او ابنه يونس بهدف وضع حد لنفوذ حكام برغواطه الذى بدأ يتسع فى بلاد السوس الأدنى من جهة ، وللقضاء على هرطقتهم من جهة أخرى ، فالأدارسة أسرة حسنية يرتفع نسبهم إلى على بن أبى طالب وبالتالى إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ومحاربتهم لهراطقة برغواطة يعد من قبيل الجهاد الذى التزموا به، وللحد من سيطرة المارقين عن الدين الاسلامى وتوسعهم فى التراب المغربى .

ولقد نجح الأدارسة فى بسط نفوذهم على تامسنا فترة من الزمن خاصة فى عهد محمد بن ادريس الثانى كما سنوضح فى سياق حديثنا عن العلاقات الخارجية لبرغواطة . ونرجح أن هذه الفترة التى ساد فيها نفوذ الأدارسة على

تامسنا هى نفس فترة الانتقال بين حكم يونس البرغواطى ، وحكم خليفته على ملك برغواطة أبى غفير محمد بن معاد بن اليسع بن صالح بن طريف ، خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار استناداً على ماأورده البكرى ، وابن عذارى ، وابن خلدون أن نسل يونس بن الياس انقطع بوفاته ، وأن حكم برغواطة انتقل الى فرع آخر لابن ثان لطريف ، غير صالح ، هو اليسع (١٧٧) .

(٥) ابو غفير محمد بن معاذ بن اليسع

وعلى الرغم مما عاناه البرغواطيون فى التصدى للأدراسة فقد نجح أبو غفير محمد بن معاذ بن اليسع فى تخليص بلده من سيطره الأدارسة وأعاد عقيدة أجداده وأسرته ، وفى ذلك يقول ابن الخطيب « ولما ولى أبو غفير أظهر ديانته ، وقاتل الأدارسة ملوك المغرب من الفاطميين ، واشتدت شوكته ، فكانت بينه وبين ادريس بن ادريس الحسنى حرب عظيمة ومواقف جهادية شهيرة .. » (١٧٨)

ولم يلبث ابو غفير أن توفى فى سنة ٢٣٠ هـ على حد قول ابن الخطيب الذى يحدد فترة حكمه بخمس وثلاثين سنة (١٧٩) . وان كان كل من البكرى وابن عذارى وابن خلدون يذكرون أنه حكم ٢٩ سنة ، وتوفى فى اخريات المائة الثالثة .

ويكون أبو غفير بذلك قد عاصر ثلاثة من ملوك الأدارسة هم ادريس ابن ادريس المتوفى فى سنة ٢١٣ هـ ، ومحمد ابن ادريس الثانى المتوفى سنة ٢٢١ هـ والذى تمكن من بسط نفوذه على تامسنا إلى أن وضع أبو غفير حداً لهذا النفوذ ، كما عاصر على بن حيدرة بن محمد بن ادريس الذى توفى سنة ٢٣٤ هـ .

واهتم أبو غفير بعد تخليص برغواطة من نفوذ الأدارسة أن يعيد لها أهميتها بين بربر السوس الأدنى ، فانطلق يعيث فساداً فى المناطق المجاورة له ، وكانت له مع البربر وقائع مشهودة ، ومعارك مشهورة ، من أهمها معركة تيمغسن «وكانت مدينة عظيمة ، أقام القتل فى أهلها ثمانية أيام من الخميس الى الخميس حتى شرقت دورهم ورحابهم وسككهم بدمائهم ... »(١٨٠) .

ومن أشهر هذه المواقع موقعة بهت التى عجز الاحصاء عن عد ضحاياها ،

وقد نظم سعيد بن هشام المصمودى ، فى هذه الموقعة ، قصيدة طويلة منها :

ألم تسمع ولم تر يوم بهت | على آثار خيلهم رنينا
رنين الباكيات بهم ثكالى | وعاوية ومسقطة جنيناً
هنالك يونس وبنو أبيه | يوالون البوار معظمينا
فليس اليوم ردتكم ولاكن | ليالى كنتم مستيسرينا (١٨١)

(٦) أبو الانصار عبد الله بن أبى غفير

يذكر كل من البكرى ، وابن عذارى ، وابن خلدون أن أبا الانصار عبد الله خلف أباه أبا غفير بن معاذ على حكم برغواطة فى ختام المائة الثالثة للهجرة . ومن الملاحظ أن رواية ابن الخطيب عن دولة برغواطة بدأت تضطرب منذ عهد أبى غفير ، فهو يذكر أبا غفير معاذ على أنه من نسل يونس بن الياس بن صالح ، وواضح أن هذه النسبة غير صحيحة ، لأن يونس بن الياس لم يعقب كما سبق أن أوضحنا أو لأن الحكم انتقل إلى فرع آخر نتيجة خضوع برغواطة فى هذه الفترة للأدارسة . كذلك لم يذكر ابن الخطيب أن أبا الأنصار عبد الله خلف أباه أبا غفير على حكم برغواطة (١٨٢) .

ونستنتج من النصوص التاريخية المتعلقة بأبى الأنصار عبد الله أنه كان شخصية قوية ، هابه ملوك عصره وسعوا إلى خطب وده وصداقته ، فإنه كان سخياً يفى بالعهد ويحفظ الجار ويكافئ على الهدية بأضعافها (١٨٣) . وفى عهده استقرت الأوضاع السياسية لدولة برغواطة نتيجة لحملاته العسكرية التى كان يسيرها من آن لآخر إذ أنه «كان يجمع جنده وحشمه فى كل عام ويظهر أنه يغزو من حوله ، فتهاديه القبائل وتستألفه ، فإذا استوعب هداياهم وألطافهم فرق أصحابه (*)» .

وحكم أبو الأنصار عبد الله نحواً من ٤٢ سنة ، وتوفى فى أواخر سنة ٣٤١ هـ أو بداية سنة ٣٤٢ هـ ، ودفن فى مدينة بامسلاخت .

(٧) أبو منصور عيسى بن أبى الانصار عبد الله

وخلف أبا الأنصار فى مُلك برغواطة ، ولده أبو منصور عيسى . وكان شاباً

يافعاً يبلغ من العمر نحو ٢٢ عاماً (١٨٤) . وكان أبو الأنصار قد أوصى ولده أبا منصور عيسى قبل وفاته بموالاة صاحب الأندلس (الخليفة عبد الرحمن الناصر) ويبدو أن الصلات الودية بين أبى منصور عيسى وبين خلفاء بنى أمية فى الأندلس توثقت إلى حد كبير زمن الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) فقد أرسل أبو منصور عيسى سفارة رسمية يرأسها أبو صالح زمور البرغواطى إلى الخليفة المستنصر فى شوال من ٣٥٢ هـ ، وكان يصاحب هذه السفارة البرغواطية ، عيسى بن داود المسطاسى الذى كان يتولى نقل أفكار السفير البرغواطى إلى الخليفة (١٨٥) . وتسجل تلك السفارة المكانة السياسية العالية التى بلغتها دولة برغواطة بحيث أصبحت بين الدول المغربية الكبرى التى تتعامل معها الحكومة المركزية بقرطبة دبلوماسياً وتتبادل السفارات السياسية مع دولة الإسلام فى الأندلس ، ونستدل على هذه المكانة السامية من رواية للبكرى تؤكد اشتداد شوكة أبى منصور عيسى ، وعظم سلطانه إلى حد أنه انتهج سيرة آبائه وادعى النبوة (١٨٦) ، فيكون بذلك ثالث ملوك برغواطه ، يدعى النبوة بعد صالح ، ويونس .

وكان قد شاع بين هراطقة برغواطة أن صالح بن طريف سيعود الى الظهور فى عهد سابع ملوكهم ، واتفق أن أبا منصور عيسى كان السابع بين هؤلاء الملوك ، ولهذا فقد ساد الإعتقاد فى برغواطة أن صالح بن طريف سيظهر فى عهده .

ويبدو أن الظروف السياسية السيئة التى أحاطت ببرغواطة منذ أوائل القرن الرابع الهجرى ، بلغت درجة كبيرة من الإضطراب والتعقيد ، وانعكست هذه الظروف السياسية على كتابات مؤرخى برغواطة بحيث خلطوا بين أسماء الملوك فقدموا بعضهم على بعض ، واختلفوا فى تحديد مدد حكمهم ، ومن مظاهر ذلك على سبيل المثال أن ابن خلدون يذكر أنه لم يقف على من ملك أمر برغواطة بعد أبى منصور عيسى (١٨٧) بينما توقف ابن عذارى عن متابعة الحديث عن برغواطة عند أحداث سنة ٣٥٢ هـ (١٨٨) .

أما ابن الخطيب فلم يكن أقل منهما اضطراباً بشأن ملوك برغواطة ، فقد

أورد اسم أبى حفص عمر بعد أبى غفير ، ثم ذكر أن اليسع بن إسماعيل خلف أبا حفص عمر ، وأن اليسع كان سابع ملوك برغواطة ، وأنه استمر يحكمها حتى سنة ٤٥٢ هـ ، وقت ظهور المرابطين ، كما ذكر أن آخر ملوكهم هو عيسى بن أبى الأنصار (١٨٩) .

ب - الصلات السياسية لبرغواطة مع الدول المغربية المجاورة

لم تكن برغواطة بمعزل عن التيارات السياسية التى كانت تجرى فى بلاد المغرب الاسلامى ، فقد كان لزاماً على أولى الأمر فيها الإرتباط بعلاقات سياسية مع الدول المجاورة لهم سواء رضوا أم كرهوا ، وتتمثل هذه الدول فى الأدارسة والفاطميين والأمويين فى الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية بقرطبة ، ثم فى دولة المرابطين ابتداء من منتصف القرن الخامس الهجرى على وجه التقريب .

(١) سياسة الأدارسة مع برغواطة

أشرنا فى الصفحات السابقة إلى جانب من العلاقات بين دولة برغواطة والأدارسة فى عهد إدريس بن عبد الله الحسنى وعهد ولده إدريس الثانى .

واستمر خضوع تامسنا للأدارسة فى عهد محمد بن إدريس الثانى الذى قسم دولة الأدارسة إلى أعمال يتولاها أخوته بإسمه تنفيذاً لوصية جدته كنزة . فكانت شالة وسلا وآزمور وتامسنا وبرغواطة من نصيب أخيه عيسى (١٩٠) . وإتفق أن ثار عيسى بشالة على أخيه محمد ، وأراد الإستقلال ببرغواطة ، فكتب محمد إلى أخيه القاسم صاحب طنجة وسبته يأمره بالتوجه إلى تامسنا لقتال أخيهما عيسى وإعادته إلى الطاعة ، فرفض القاسم ، فاضطر محمد بن إدريس إلى توجيه أخيه عمر المتولى أعمال صنهاجة وغمارة لمحاربة عيسى فى تامسنا . ونجح عمر فى التغلب على أخيه عيسى وتمكن من ضم شالة وتامسنا وما يتبعهما من مناطق نفوذ برغواطة إلى ملكه ، كما بادر بقتال أخيه القاسم ، وانتصر عليه وضم أملاكه بدورها إليه . وظل عمر يتولى عمل شالة بالإضافة إلى ما اقتطعه من أعمال أخويه عيسى والقاسم حتى توفى فى سنة ٢٢٠ هـ . ولم يطل العمر بأخيه محمد ، فلحقه فى ٢٢١ هـ بعد سبعة أشهر من وفاة

أخيه [١٩١] .

وانتهز أبو غفير البرغواطى فرصة وفاة محمد بن إدريس فى استرداد ما كان قد انتزعه الأدارسة من أملاكه ، فقاتل الأدارسة وحرر أراضيه من سيطرتهم ، واستعاد لملوك برغواطة من بنى طريف ، السيادة على تامسنا وما يجاورها وأمكنه بالتالى استرجاع المكانة السامية التى كانت تشغلها برغواطة .

(٢) موقف برغواطة من الصراع الفاطمى الأموي

لم تستطع برغواطة أن تقف مكتوفة اليدين من الصراع الفاطمى / الأموى للسيطرة على المغرب الأقصى ، باعتبارها إحدى دول هذا الصقع من بلاد المغرب ، فالدولة الفاطمية التى قضت على دولتى الأغالبة والرستميين كانت تتطلع إلى ضم المغرب الأقصى بما فى ذلك دولة الأدارسة ، ولكن زعيماً بربرياً هو موسى بن أبى العافية سبق الفاطميين فى التحرك ، وتمكن سنة ٣١٣ هـ من الإستيلاء على بعض مناطق من المغرب الأقصى ، وأجلا «جميع الأدارسة عن بلادهم وأخرجهم عن ديارهم ، وملك مدينة أصيلا ومدينة شالة وغيرها من بلادهم ...» [١٩٢] ونخرج من هذا الحادث باحتمالين :

الأول : أن يكون موسى بن أبى العافية قد انتزع شالة من البلاد التابعة لدولة برغواطة وذلك بعد فترة زمنية من قيام أبى غفير بتحرير بلاده من السيطرة الادريسية .

والإحتمال الثانى : أن يكون الأدارسة ما يزالوا يسيطرون على شالة ، وأن أبا غفير لم ينجح فى استردادها فى جملة ما استرده من أملاكه .

وأياً ما كان الأمر فإننا نلاحظ أن برغواطة التزمت الوقوف مع الجانب الأموى الأندلسى ، من ذلك الصراع الفاطمى الأموى على سيادة المغرب الأقصى ، وهى نفس السياسة التى انتهجها موسى بن أبى العافية الذى أعلن تبعيته للخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر فى الأندلس سنة ٣١٩ هـ ، ولهذا السبب كانت العلاقات القائمة بين ملوك برغواطة حتى زمن أبى منصور عيسى ، وبين بنى أمية فى الأندلس حتى خلافة الحكم المستنصر ودية . ولم يكن ذلك غريباً فقد أوصى صالح ولده الياس قبل رحيله الثانى إلى المشرق واختفائه ، بموالاة أمير

الأندلس ، كما أوصى أبو الأنصار عبد الله ابنه أبا منصور عيسى بمتابعة ولاته لصاحب الأندلس .

ويبدو أن أبا منصور أخذ بنصيحة أبيه فبادر أول توليه الحكم بإرسال سفارة الى الحكم المستنصر سنة ٣٥٢ هـ [١٩٣] . وأعتقد أن حرص ملوك برغواطة على إقامة علاقات وثيقة مع الأمويين فى الأندلس ، يرجع إلى عاملين :

الأول أن عبد الرحمن الداخل مؤسس دولة بنى أمية فى الأندلس ، كان يحمل مودة خاصة لقبيلة مغيلة البربرية منذ أن لجأ عند أحد شيوخها وهو أبو قرة وانسوس المغيلى أثناء مطاردة أعوان عبد الرحمن بن حبيب الفهرى له فى المغربين الأدنى والأوسط . وكان أبو قرة المغيلى هذا من رؤساء الخوارج الصفرية ، ممن شاركوا فى ثورات الخوارج على العرب ، ويبدو أنه كان زعيم قومه وأنه حكمهم زهاء أربعين سنة [١٩٤] ، وفى ذلك يقول ابن خلدون فى سياق حديثه عن مغيلة [١٩٥] أخوة مطماطة «وكان منهم جمهوران ، أحدهما بالمغرب الأوسط عند مصب شلف فى البحر من ضواحى ما زونه ، المصر لهذا العهد ، ومن ساحلهم أجاز عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس ، ونزل بالمنكب ، فكان منهم أبو قرة المغيلى الدائن بدين الصفرية من الخوارج ، ملك أربعين سنة ، وكانت بينه وبين أمراء العرب بالقيروان لأول دولة بنى العباس حروب ، ونازل طبنة . وقد قيل أن أبا قرة هذا من مطماطة ، وهذا عندى صحيح ، فلذلك أخرت ذكر أخباره إلى أخبار بنى يفرن من زناتة ....[١٩٦]» .

وسواء أكان أبو قرة من مغيلة أو من مطماطة ، فان مطماطة وهم أخوة مغيلة ، كانوا من حلفاء برغواطة ، وكذلك كان بنو يفرن [١٩٧] . ومادام أبو قرة قد اشترك فى ثورة البربر الخوارج على العرب [١٩٨] ، فمن المرجح أنه كان صاحباً لميسرة المطغرى أول ثوار البربر ، وطريف بن شمعون . ويذكر ابن خلدون أن أبا قرة ثار سنة ١٥٠ هـ مع أبى حسان وأبى حاتم يعقوب بن لبيب ، وموسى بن خليد ، ومليح بن علوان ، وحسان بن زروال . وكان حسان هذا آخر هؤلاء الثوار من الداخلين مع عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس [١٩٩] .

ولا نستبعد أن تكون الصلات الودية التى ربطت بين أسرة عبد الرحمن

الداخل من أمراء بنى أمية ، وبنى طريف فى برغواطة ، قد توثقت عن طريق أبى قرة المغيلى الصفرى الذى يرجع إليه الفضل فى حماية عبد الرحمن من شرطة ابن حبيب الفهرى (٢٠٠) .

والثانى أن أخوال عبد الرحمن الداخل مؤسس أسرة بنى أمية فى الأندلس من بربر نفزة (٢٠١) ، والمعروف أن من بطون نفزة تمصيت ومنه مطماطة وصطفورة ومطغرة ومغيلة (٢٠٢) .

هذه الصلات القبلية توحى بوجود ثمة علاقة تربط بين كل من مغيلة ومطغرة ومطماطة من جهة ، وبين عبد الرحمن الداخل الذى كان ينتمى من جهة الأم الى قبيلة نفزة ، ولما كان أبو قرة من زعماء ثوار الخوارج الصفرية ، وكذلك الشأن بالنسبة لميسرة المطغرى ، ولما كان كلاهما يرتفع فى نسبه إلى نفزة التى ينتمى إليها عبد الرحمن الداخل من جهة الأم ، فقد كان من الطبيعى ، والحال كذلك ، أن تتوطد الصلة بين بنى طريف حلفاء مطغرة ومطماطة ، وبين بنى أمية فى الأندلس .

وقد استمرت العلاقات الودية بين الأمويين فى الأندلس ، والبرغواطيين فى عصر الإمارة وفترة عهد الخليفتين الناصر والمستنصر ، ولكنها لم تلبث أن توترت بعد وفاة الحكم المستنصر فى سنة ٣٦٦ هـ ، وانتقال السلطة الفعلية إلى يد المنصور محمد بن أبى عامر ، عندما صرف جعفر بن على ، الذى كان المنصور بن أبى عامر قد أجازه الى المغرب وولاه على البصرة سنة ٣٦٦ هـ ، جهوده فى محاربة برغواطة (٢٠٣) . ولكن أبا منصور عيسى بن أبى الأنصار ملك برغواطة ، تمكن من إيقاع الهزيمة بجعفر بن على ، ولحق بأخيه يحيي بالبصرة ، ثم أمر المنصور باستدعائه تاركاً أخيه يحيى على عمله بالمغرب .

وفى نفس الوقت الذى كانت قوات المنصور محمد بن أبى عامر تهاجم برغواطة ، كانت برغواطة تتعرض لهجوم ، شنته عليها جيوش بلكين بن زيرى الصنهاجى والى أفريقية من قبل الفاطميين سنة ٣٦٨ هـ . وفى إحدى الإشتباكات بين قوات برغواطة والجيوش الزيرية ، لقى أبو منصور البرغواطى مصرعه ، وانهزمت قواته ، وأثخن فيهم بلكين قتلاً ، ومع ذلك فلم تستطع

قوات بلكين القضاء على دولة برغواطة ، وواصل بلكين إرسال بعوثه العسكرية وحملاته على بلادهم ، فكان يغزوها عاماً بعد عام حتى سنة ٣٧٢ هـ عندما قتل أثناء عودته من المغرب الأقصى إلى القيروان (٢٠٤) .

ورغم هزيمة جيوش المنصور بن أبي عامر أمام برغواطة ، فقد عاود مهاجمتهم مرة ثانية عندما بعث ابنه المظفر عبد الملك ، مولاه واضحاً إلى المغرب في سنة ٣٨٩ هـ ، فهاجم أراضي برغواطة ، وأثخن فيها وقتل وسبى أعداداً كبيرة منهم (٢٠٥) .

كذلك قام بنو يفرن الزناتيون بمحاربة برغواطة ، وذلك عندما استقل بنو يعلى بن محمد اليفرني بناحية سلا (٢٠٦) . وقد بلغت الحملات اليفرنية على برغواطة أشدها في عهد الأمير أبي الكامل تميم بن زمور الزناتي اليفرني ، فقد كان يغزوهم في كل سنة مرتين ، واستمر على هذه الحال حتى وفاته عام ٤٤٨ هـ . ويبدو أن الأمير تميم اليفرني استولى على شالة في إحدى هجماته بدليل أنه فر إليها سنة ٤٣١ هـ عندما استولى حمامة بن المعز مع مغراوة على فاس (٢٠٧) .

وتسجل السنوات الأخيرة من عهد أبي حفص عمر بن عبد الله بن محمد بن مقلد بن اليسع البرغواطي آخر ملوك برغواطة على حد قول ابن أبي زرع ، وابن الخطيب (٢٠٨) ، بداية حركة الجهاد التي حمل المرابطون لواءها ضد المارقين على الإسلام برئاسة عبد الله بن ياسين ، وانضم إلى ابن ياسين العديد من المؤمنين بمبادئه الإسلامية الخالصة وقوامها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعرف أتباعه بالمرابطين نسبة الى رباط ابن ياسين الذي تلقوا فيه تكوينهم الروحي والحربي ، ولشدة جدهم وحسن بلائهم ، كما عرفوا بالملثمين لاتخاذهم لثاماً يغطي الجزء الأدنى من الوجه ، وكذلك باللمتونيين نسبة الى قبيلة لمتونة التي ينتمون إليها وتولت الرئاسة على سائر قبائل صنهاجة الضاربة في الصحراء الواقعة جنوبي جبال درن (٢٠٩) .

وعندما انطلق المرابطون للجهاد سنة ٤٤٥ هـ اتجهوا إلى درعة ، واصطدموا بقوات مغراوة وسجلماسة ، وتغلبوا عليها واستولوا على سجلماسة ، وأصلحوا

من أحوالها ، ثم اندفع المرابطون بعد ذلك في موجات كاسحة لقتال زناتة ، كما قاتلوا الشيعة الرافضة في تارودانت وافتتحوها ، واستولوا على ماسة ، وتم لهم الإستيلاء على السوس بأسره سنة ٤٤٨ هـ ، وبعث القائد أبو بكر بن عمر الذي كان يقاتل مع عبد الله بن ياسين ، ابن عمه يوسف بن تاشفين لفتح واحات درعة فيما بين عامى ٤٤٨ هـ ، ٤٤٩ هـ فنجح ابن تاشفين في فتحها ، وامتدت فتوح المرابطين حتى وادى تنسيفت من بلاد رجراجة ، واستولوا عام ٤٤٩ هـ على أغمات ، ثم اتجهوا إلى المصامدة بجبال درن [٢١٠] .

وفي أواخر عام ٤٥٠ هـ ، دعا المرابطون الى جهاد برغواطة بتامسنا وأنفا والريف الغربى ، ودارت بين المرابطين وبين برغواطة معارك ضارية أسفرت عن إصابة عبد الله بن ياسين شيخ المرابطين إصابة خطيرة انتهت بوفاته [٢١١] .

وأوصى ابن ياسين قبل وفاته المرابطين بمواصلة الجهاد ضد هراطقة برغواطة فقال لهم «يا معشر المرابطين ، انكم في بلاد أعدائكم ، وإنى ميت في يومى هذا لا محالة ، فإياكم أن تجبنوا فتفشلوا ، فتذهب ريحكم ، وكونوا ألفة وأعواناً على الحق وإخواناً في ذات الله تعالى ، وإياكم والمخالفة والتحاسد على طلب الرياسة ، فإن الله يؤتى ملكه من يشاء ويستخلف في أرضه من أحب من عباده ، وإنى قد ذهبت عنكم ، فانظروا من تقدموه منكم يقوم بأمركم ويقود جيوشكم... » [٢١٢] . ثم توفى عبد الله بن ياسين يوم الأحد ٢٤ جمادى الأولى سنة ٤٥١ هـ ، ودفن في كريفلة بتامسنا ، وبنى على قبره مسجد .

واتفق المرابطون بعد وفاة ابن ياسين على تقديم الأمير أبى بكر بن عمر اللمتونى عليهم ، وما كاد أبو بكر ينتهى من دفن عبد الله بن ياسين حتى انطلق لقتال برغواطة ، ويذكر ابن أبى زرع أنهم «فروا بين يديه وهو في أثرهم يقتل ويسبى حتى أثخن فيهم ، وتفرقت برغواطة في الشعارى ، وأذعنوا له بالطاعة ، وأسلموا إسلاماً جديداً ... » [٢١٣] .

وتجمع المصادر العربية على أن المرابطين قضوا على برغواطة قضاء تاماً واستأصلوا شأفتها ، ومع ذلك فإننا نلاحظ من خلال الحوادث والوقائع التى سجلها عصر دولة الموحدين ، أن المرابطين لم يقضوا تماماً على برغواطة بدليل

أنها ستظهر فى تلك الأحداث وتشارك فى الثورات ضد الدولة الموحدية كما سنوضح فى ختام البحث .

ولهذا فإننا نعتقد أن المرابطين ، وإن كانوا قد نجحوا فى القضاء على الكيان السياسى لبرغواطة كدولة لها مقومات الدول ، فإنهم لم يقضوا عليها كعصبية اجتماعية بدليل أن برغواطة عادت الى الظهور فى عهد الموحدين ، ونجح البرغواطيون فى مواجهة الموحدين ، وشاركوا فى ثورة الماسى والصحراوى مشاركة غير ذات خطر ، أما من حيث الفكر العقائدى لبرغواطة فقد تطهر على أيدى المرابطين الذين ردوها الى الإسلام الصحيح ، فلم نعد نسمع بعد أن قضى المرابطون على دولتهم شيئاً عن ديانتهم الغريبة المتطرفة . ومادمنا نتحدث عن برغواطة وأشهر ملوكها فيجدر بنا التعرض لاسرتين برغواطيتين كان لهما دور سياسى بارز فى حوادث المغرب الإسلامى ، خارج نطاق تامسنا حاضرتهم .

(١) أسرة منصور البرغواطى فى صفاقس بإفريقية

ظهرت من برغواطة أسرة تولت الحكم فى صفاقس بافريقية فى عهد بنى باديس الصنهاجيين ، وكان من أبرز شيوخها منصور البرغواطى ، الذى ولاه المعز بن باديس على صفاقس ، ويصفه ابن خلدون بأنه كان فارساً مقداماً ولكنه جنح الى الثورة على المعز بن باديس أيام تغلب العرب الهلالية على إفريقية وخروج المعز الى المهدية ، ولم يتح لمنصور أن يكلل ثورته بالنجاح ، إذ انقلب عليه ابن عمه حمو بن مليل البرغواطى ، وقتله فى الحمام غدراً (٢١٤) .

وانضمت الى حمو طائفة كبيرة من عرب زغبة ورياح وعدى والأثبج ، واستبد حمو بصفاقس ، ولما توفى المعز ، طمع حمو فى التغلب على المهدية ، فزحف إليها فى حشود ضخمة من أتباعه العرب ، فتصدى له تميم بن المعز وأوقع به الهزيمة ، وكان ذلك فى عام ٤٥٥ هـ على حد قول ابـن خلدون ، و٤٥٦ هـ فى رأى ابن عذارى . فتراجع حمو الى صفاقس ، وعندئذ أرسل تميم ولده يحيى لحصارها ، بيد أن تميم لم يصبر طويلاً على هذا الحصار فرفعه بعد فترة . وفى سنة ٤٩٣ هـ زحف تميم بن المعز إلى صفاقس وتمكن من استردادها من يد حمو البرغواطى الذى فر إلى بمكن بن كامل أمير قابس ، فأجاره ، أما

صفاقس فقد استرجعها تميم بن المعز وأسند ولايتها إلى ابنه [٢١٦] .

(٢) أسرة سكوت البرغواطى مولى الحموديين فى سبتة وطنجة

ترك يحيي بن علي الحمودي كلاً من «رزق الله» وصديقه «سكوت (أو سقوت) بن محمد البرغواطي» على حكم سبتة ، بينما تفرغ هو لمعركة الخلافة فى الأندلس ، ويغلب على الظن أن سكوت هذا كان أحد الأسرى البرغواطيين الذين وقعوا فى أسر المنصور بن أبي عامر أو ولده سنة ٣٨٩ هـ وقت مهاجمة قوات الأندلس لدولة برغواطة . وكان سكوت آنذاك طفلاً حدثاً اشتراه أحد الحدادين ، ثم اشتراه على بن حمود [٢١٧] ، عندما كان حاكماً لسبتة باسم سليمان المستعين . وفى سنة ٤٥٣ هـ أمر سكوت البرغواطى بقتل رزق الله حليفه ، كما قطع كل صلاته بجميع الحموديين ، ونادى بنفسه ملكاً [*] ، واتخذ لنفسه لقباً خلافياً مزدوجاً وهو «المنصور» و «المعان» كما نقش على العملة اسم أمير المؤمنين يقصد الخليفة العباسى القائم بالله لإسباغ الشرعية على حكمه ، وعهد لولده بحكم طنجة . ثم تطلعت أنظار سكوت الى الجزيرة الخضراء التابعة لبنى عباد،واضطر الى خوض بعض وقائع مع المعتضد بن عباد ، صاحب مملكة اشبيلية ، وتمكن بعد صولات وجولات من احكام السيطرة على المجاز ، والتحكم فى معابر الأندلس . وبدأ يغير بسفنه على السفن القادمة والصادرة ، ويقطع الطريق عليها على نحو ما يفعل القراصنة [٢١٨] ، فى الوقت الذى كانت قوات المرابطين تعمل فيه على توحيد الجبهة الاسلامية فى المغرب ، والقضاء على اتباع برغواطة فى الريف المغربى ، وفى هذه الفترة ازداد عيث القشتاليين فى الأندلس وانتزاع قواعدها الواحدة اثر الأخرى ، وتمكن الفونسو السادس ملك قشتالة وليون من بسط سيادته على كل دويلات الطوائف ، وفرض على ملوكها الضعاف الإتاوات ، فوادعوه بقلاعهم وحصونهم بهدف شراء سلمه والإبقاء على عروشهم . وكان استيلاء ألفونسو السادس على طليطلة نذيراً لملوك الطوائف بقرب نهايتهم ، واتخذ هذا الملك لنفسه لقب الإمبراطور صاحب الملتين سنة ٤٧٨ هـ ، وعندئذ فقط تحرك ملوك الطوائف ومدوا أيديهم يلتمسون الغوث والنصرة من يوسف بن تاشفين . ولم يتردد ابن تاشفين فى تلبية صرختهم بعد أن يفرغ من مهمته الرئيسية وهى

الإستيلاء على سبتة وطنجة . وأثلج ذلك نفوس أهل الأندلس ورفع من معنوياتهم وبادر المعتمد بن عباد كبير ملوك الطوائف بإرسال سفنه الى ساحل سبتة إسهاماً منه فى الحصار المرابطى لسكوت البرغواطى . ودارت بين المرابطين وقوات سكوت معارك ضارية فى نواحى سبتة أسفرت عن هزيمة سكوت ومصرعه ، وتمكن المرابطون من دخول سبتة ، أما ابنه ضياء الدولة فقد انهزم فى طنجة وفر منها عقب استيلاء المرابطين عليها (٢١٩) .

جـ- تطور الفكر العقائدى لبرغواطة

إذا كانت المصادر العربية تجمع على أن طريف بن شمعون ، المؤسس الأول لدولة برغواطة فى تامسنا كان مسلماً وأنه تقبل فكر الخوارج الصفرية ، بحكم صلته بميسرة المطغرى وإن كان ابن خلدون ينفرد من بين المؤرخين فى أنه ادعى النبوة وخرج عن الإسلام ، فإن هذه المصادر تجمع على أن ولده صالح هو الذى قفز بتعاليم هذه الدولة الناشئة الى بحور من التطرف والالحاد ، فقد انسلخ من آيات الله سبحانه وتعالى على حد وصف ابن خلدون (٢٢٠) ، وادعى النبوة ، وشرع لأتباعه ديانة جديدة . ولم يكتف بذلك بل ادعى أن قرآناً جديداً غير قرآن محمد (ص) أنزل عليه ، وكان يتلو عليهم سوراً عديدة (٢٢١) ، ويزعم ان ما يتلوه عليهم موحى إليه من الله سبحانه وتعالى ، وأنه هو صالح المؤمنين الذى ورد ذكره فى سورة التحريم «وإن تظاهروا عليه فإن الله هو مولاه ، وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ....»(٢٢٢) . وادعى أيضاً أنه المهدى الأكبر الذى يخرج فى آخر الزمان لقتال الدجال ، وان عيسى بن مريم عليه السلام من أصحابه ، يصلى خلفه ، وأنه سيملأ الدنيا عدلاً مثلما ملئت جوراً ، كما نسب إلى موسى عليه السلام كلاماً كثيراً ، وزعم أن اسمه فى اللغة العربية صالح وفى السريانية مالك ، وفى الأعجمية عالم ، وفى العبرانية وريبا ، وفى البربرية وريا ـ ورى أى الذى ليس بعده شئ (٢٢٣) .

أما هذا القرآن الذى وضعه صالح بن طريف لقومه ، فكان يتكون وفقاً لما أورده البكرى على لسان زمور البرغواطى من ثمانين سورة ، وأكثر هذه السور منسوبة إلى أسماء الأنبياء ، أولها سورة أيوب ، وآخرها سورة يونس ، ومن

سوره : سورة فرعون ، وسورة قارون ، وسورة هامان ، وسورة ياجوج وماجوج ، وسورة الدجال ، وسورة العجل ، وسورة هاروت وماروت ، وسورة طالوت ، وسورة نمرود ، وسورة الديك ، وسورة الحجل ، وسورة الجراد ، وسورة الجمل ، وسورة الحنش ، وسورة غرايب الدنيا ، وسورة الفيل ، وسورة ابليس (٢٢٤) .

ومن الجدير بالملاحظة أن الشرائع التى أحدثها صالح البرغواطى تخرج تماماً عن تعاليم الدين الاسلامى ، فقد حلل صالح لأتباعه وحرم كيفما شاء ، من ذلك على سبيل المثال :

(١) فيما يتعلق بالصلاة ، شرع لهم خمس صلوات فى النهار ، وخمس صلوات فى الليل ، ويتم الوضوء على النحو التالى : غسل السرة والخاصرتين ، ثم الاستفجاء ، والمضمضة ، وغسل الوجه ، ومسح العنق والقفاء ، وغسل الذراعين من المنكبين ومسح الرأس ثلاث مرات ، ومسح الأذنين ، ثم غسل الرجلين من الركبتين ، وبعض صلواتهم إيماء بلا سجود ، وبعضها الآخر على طريقة صلاة المسلمين ، وكانوا يسجدون ثلاث سجدات متصلة ، ويرفعون جباههم وأيديهم عن الأرض مقدار نصف شبر . وكان الواحد منهم عند إحرامه يضع إحدى يديه على الأخرى ويقول «أبسمن ياكُش» وتفسير ذلك بسم الله ، «مقر ياكوش» وتفسيره الله أكبر ، ويضعون أيديهم مبسوطة فى الأرض ، عندما يتشهدون ، ويقرأون نصف قرآنهم فى وقوفهم ، ونصفه فى ركوعهم ، ويقولون فى تسليمهم بالبربرية «الله فوقنا لم يغب عنه شئ فى الأرض ولا فى السماء» ، ثم يرددون كلمة «مقر ياكوش» خمساً وعشرين مرة ، ثم كلمة «ردام ياكش» بمعنى «لا أحد مثل الله» خمس وعشرين مرة (٢٢٥) .

(٢) أما بالنسبة للصوم فقد حرم صالح على قومه صيام شهر رمضان وأباح لهم الإفطار فيه وخصص لصيامهم شهر رجب (٢٢٦) ، بالإضافة الى صيام يوم من كل جمعة كفرض من فروضهم ، ويصومون الجمعة الأخرى التى تليه .

(٣) وأما الزكاة فقد أعفاهم صالح منها واكتفى بجمع العشر من جميع الحبوب ، وفى ذلك يقول البكرى على لسان زمور «ويأخذون العشر فى الزكاة

من جميع الحبوب ولا يأخذون من المسلمين شيئاً» .

(٤) أباح صالح لأتباعه أن يتزوجوا من النساء كيفما شاءوا ويقدر ما استطاعوا ، دون أن يحدد عدداً للزوجات ، وحرم على أتباعه الزواج من بنات العم ، كما حرم عليهم الزواج من مسلمات ، وحرم على سيدات قومه الزواج من رجال المسلمين ، كما أحل لأتباعه أن يطلقوا نساءهم ويرجعوهن ما أحبوا دون قيد أو شرط .

(٥) وفيما يتعلق بالحدود والعقوبات شرع صالح قتل السارق بالإقرار أو بالبينة ، كما شرع رجم الزانى ونفى الكاذب ، والدية عندهم مائة من البقر . (٢٢٧)

(٦) أما بالنسبة للطعام فقد حرم صالح على أتباعه رأس كل حيوان ، وحرم أكل الأسماك إلا إذا ذبحت ، وحرم عليهم أكل البيض ، وذبح الديكه وأكل لحومها لقداستها فى العقيدة البرغواطية ، وقد أغناهم بذلك عن الآذان ، فلم يكن لهم مؤذنون للصلاة ، واعتمدوا فى معرفة الوقت على صياح الديكة ، أما أكل الدجاج فمكروه (٢٢٨) .

(٧) وكان صالح يبصق على أيدى أتباعه ، فيلعقون هذا البصاق تبركاً ، ويحملونه إلى مرضاهم ليشفيهم ، وادعى صالح وقت رحيله إلى المشرق أنه سيظهر من جديد فى دولة السابع من ملوك بنى طريف ليملأ الدنيا عدلاً ورحمة (٢٢٩) .

وهكذا اعتنق البرغواطيون هذه الديانة التى شرعها صالح ، وعملوا بتعاليمه وآمنوا به نبياً وقرأوا قرآنه ، ويبدو أن هذه الديانة الخارجة عن الإسلام مرت بمرحلتين متتابعتين : مرحلة المحلية ، ثم مرحلة الإنطلاق والإنتشار . أما المرحلة الأولى وهى التى انتشرت فيها تعاليم هذه الديانة داخل نطاق دولة برغواطة وفى تامسنا نفسها فأعتقد أنها واكبت فترة حكم صالح والشطر الأول من عهد الياس . ونستند فى ذلك على نصيحة صالح لولده الياس عند رحيله الى المشرق ، بألا يظهر دينه إلا إذا قوى أمره ، ويبدو أن الياس أخذ بهذه النصيحة وعمل بها ، فقد ظل «مظهراً للإسلام مسراً لما أوصاه به أبوه من كلمة

كفرهم» «خوفاً وتقية» ، ومع ذلك فان الياس بادر فيما يظهر بشرح عقائد ديانة والده لأهل الثقة من أتباعه ولن توفر لديه الإستعداد النفسى والعقلى لتقبل تعاليمه ، وتستند فى ذلك إلى رواية لابن الخطيب ، ذكر فيها أن خلقاً كثيراً من زناتة دخل فى طاعته [٢٣٠]. وبذلك بدأت دعوة صالح وولده الياس تنتشر فى داخل دولة برغواطة فى أضيق الحدود . ونخرج من ذلك بأن الشطر الثانى من حكم الياس يشكل مرحلة انتقالية بين المرحلة السرية المحلية لدعوة صالح وبين مرحلة الإنتشار الذى سيتحقق لهذه الدعوة فى عهد يونس الذى تنبأ مثل جده صالح ، واصطنع القهر والسيف لنشر الدعوة البرغواطية ، فكان يكره الناس على تقبل دعوته ولا يتردد فى استباحة دم من يرفض اعتناق ديانته . وقد أوضحنا فيما سبق أنه أحرق ٣٨٠ مدينة لمخالفة أهلها له ، كما سفك دماء ٧٧٧٠ شخصاً فى تاملوكاف رفضوا الدخول فى دينه . وكان طبيعياً أن سياسة يونس فى نشر هرطقته بقوة السيف تستثير استياء جيرانه أمراء الدويلات الإسلامية المجاورة ، وتحول هذا الإستياء عند بعض رؤساء المسلمين إلى غيرة على الإسلام . وأبرز القوى الإسلامية التى تصدت لبرغواطة دولة الأدارسة الحسنيين بفاس ، وهى دولة وإن كانت شيعية المذهب إلا أنها كانت أقرب الى السنة فى اعتدالها الى حد أن بعض المؤرخين اعتبروها دولة سنية [٢٣١] . لذلك تقدمت جيوش الأدارسة كما سبق أن أوضحنا لتحتل تامسنا وتضع بذلك حداً لهذه الهرطقة التى عمل بنو طريف على نشرها فى المغرب الأقصى بالقوة . ولكن لم يقدر للأدارسة تطهير تامسنا من هرطقة برغواطة ، بعد ظهور أبى غفير محمد البرغواطى ونجاحه فى تحرير بلاده من السيطرة الادريسية ، ثم انطلاقه لنشر الهرطقة البرغواطية من جديد ، ونجح أبو غفير فى تحقيق هدفه ، فعظمت شوكته واشتد أمره ، واعتمد بدوره على القوة العسكرية فى بسط سيادته على المناطق المجاورة لدولته ونشر فكر برغواطة الدينى بين بربر تلك النواحى ، وواصل كل من أبى الأنصار عبد الله وأبى منصور عيسى تطبيق هذه السياسة التوسعية ، خاصة وأن هذا الأخير قد تنبأ بدوره [٢٣٢] ، كما سبق أن أوضحنا فى سياق حديثنا عن الأحداث السياسية فى عهد ملوك برغواطة ، ومن العوامل التى ساعدت ملوك برغواطة على نشر ديانتهم ، كفايتهم

العسكرية العالية ، فقد ذكر البكرى أن قوة برغواطة العسكرية كانت تتألف من ثلاثة آلاف ومائتى فارس بخلاف القبائل البربرية التى تحالفت معها ، والتى سبق أن ذكرناها ، ويؤكد ابن عذارى ذلك بقوله أن عسكر برغواطة يتجاوز ١٢٠ ألف مقاتل بعد احتساب العساكر المجندة من القبائل المختلفة (٢٣٣) التابعة لها .

وظلت برغواطة على هرطقتها حتى ظهور المرابطين الذين تصدوا تحت قيادة عبد الله بن ياسين ، للقضاء على هذه الهرطقة ، واستشهد ابن ياسين أثناء محاولته إرجاع برغواطة الى الاسلام الصحيح . ونجح المرابطون فى تحقيق هدفهم ، فلم نعد نسمع بعد قضاء المرابطين على دولتهم عن ديانة برغواطة وهرطقتها . وإذا كانت لبرغواطة ذيول بعد سقوط دولتها تتمثل فى سكوت البرغواطى القائم بسبتة وطنجة ، فإننا لا نعرف على وجه اليقين ما اذا كانت دولته انتهجت نفس سياسة دولة برغواطة فى السوس الأدنى من الهرطقة والكفر أم أنها عادت إلى الإسلام . ويرى بعض الباحثين أن نشأة سكوت فى كنف بنى حمود الأدارسة ، غيرت من مبادئه البرغواطية الإلحادية ، فنشأ نشأة إسلامية (٢٣٤) . ونستنتج من رواية أوردها ابن عذارى أن سكوت كان مسلماً وتقول الرواية أن سكوت أرسل الى أبى الوليد بن جهور صاحب قرطبة فى طلب قارئ للقرآن ، فوجه إليه ابن جهور فقيهاً قارئاً يعرف بعون الله بن نوح (٢٣٥) وفى اعتقادى أن سكوت البرغواطى لم يكن صادقاً فى إسلامه أو أنه كان باطنياً يتظاهر بالإسلام تقية ، وأعتقد أنه كانت له نفس ميول حكام دولة برغواطة فى تامسنا من الهرطقة والإلحاد ، رغم رواية ابن عذارى سالفة الذكر ، ورغم ما قيل عن نشأته فى كنف بنى حمود الأدارسة ، وأيضاً رغم اهتمامه باستقدام كبار فقهاء عصره إلى سبتة أمثال أبى الأصباغ بن سهل الجيانى الذى درس بقرطبة وغرناطة وطليطلة ثم انتقل إلى سبته حيث قام بالتدريس فى مسجدها ، وأبى محمد بن منصور قاضى الجماعة ، وأبى اسحق اللواتى .(٢٣٦) ومن الجدير بالذكر أن الادريسى الجغرافى المشهور نشأ فى سبتة زمن سكوت ، والواقع أن عقائد برغواطة تبيح لملوكهم مبدأ التقية وإخفاء معتقداتهم الحقيقية وراء قناع زائف من التظاهرات الإسلامية ، فهم أهل باطن شأن كثير من

أصحاب النحل والهرطقات التى ظهرت فى الشرق الإسلامى فى العصر العباسى الأول ، فسكوت فيما أعتقد كان يظهر الإسلام باستجلاب الفقهاء والمشايخ الى سبته ولكنه كان يخفى ما بداخله من أفكار دينية خارجة عن الإسلام . فطالما هاجم الأساطيل الإسلامية وخاصة الأندلسية عند مجاز جبل طارق ، ويصفه صاحب مفاخر البربر بأنه رجل استعان بالشر وتهاون بالأمر ، أضرم البحر بلجيه ناراً ، وأخذ كل سفنه غصباً (٢٣٧) . كذلك أستند فيما ذهبت إليه الى خبر أورده كل من ابن خلدون فى العبر والقلقشندى فى صبح الأعشى نستنتج منه أن سكوت ، وان كان قد أظهر الاسلام فى دولته ، فإنه أبقى على عقيدة برغواطة .

فقد ذكر أنه ظهر فى غمارة فى أواخر عهد الموحدين رجل لثامى عرف بأبى الطواجن ، ادعى النبوة (٢٣٨) ، ورحل الى سبتة وأخذ ينشر مبادئه فيها . يقول القلقشندى «ثار فى غمارة محمد بن محمد اللثامى المعروف بأبى الطواجن ، وكان له يد فى السيمياء ، وارتحل الى سبتة فنزل عليها ، وادعى النبوة ، وأظهر انواعاً من السيمياء ، فاتبعه جماعة ، ثم ظهر لهم حقيقة امره ، فرجعوا عنه ، وقتله بعض البربر ...» (٢٣٩) .

ونتساءل عن السبب الذى دفع أبا الطواجن إلى اختيار سبتة بالذات لبث أفكاره المسمومة ، وادعائه النبوة ، فلو لم يكن واثقاً تماماً من وجود عناصر ملحدة بسبتة ، لما فكر فى اتخاذها مقراً لثورته ، فالخبر الذى أورده كل من القلقشندى وابن خلدون يوحى بأن سبتة رغم خضوعها لكل من دولتى المرابطين والموحدين ، ورغم أن أهلها نبذوا الفكر البرغواطى بفضل جهود المرابطين ، إلا أنه ربما كان بعض أفراد من أهلها ، مازالوا يحتفظون بأفكار الحادية منذ أيام سكوت ، وهذا يفسر السر فى انتقال هذا الثائر إليها لنشر مبادئه التى ظن أنها ستجد تربة خصبة لها هناك .

أما فيما يتعلق بدولة منصور البرغواطى فى صفاقس ، فليس لدينا من النصوص ما يشير الى عقائده وإن كنا نميل الى الاعتقاد بأن حركة منصور البرغواطى فى إفريقية كانت سياسية بحتة ، فقد ظهروا هناك فى نفس الوقت

الذى ظهر فيه المرابطون فى المغرب الاقصى ، وحاولوا إعادة إنشاء كيان سياسى لبرغواطة فى بقعة أخرى بعيدة عن تامسنا والسوس الادنى ، بعد أن كان المرابطون قد قضوا على دولة برغواطة فى تامسنا .

المؤثرات المختلفة على العقيدة البرغواطية :

أن الدارس لما زودتنا به المصادر العربية من نصوص عن العقيدة البرغواطية ، وإن كانت شحيحة للغاية إلا أنها تكفى للقول بأنها فيما أرى لا تعدو مجموعة من الافكار الدينية ، اقتبست من أديان مختلفة . ونستطيع أن نقسم هذه الافكار المكونة للعقيدة البرغواطية أو التى تأثرت بها هذه العقيدة الى نوعين إسلامية ، وغير إسلامية .

أ - التأثيرات الاسلامية :

كان طبيعياً أن تتأثر الديانة البرغواطية بالاسلام بحكم أن مؤسسها كان مسلماً . وإن كان هذا التأثر جاء باهتاً يبعد صلة هذه الديانة عن الاسلام ، فقد حرف البرغواطيون وشوهوا من قواعده وأسسه ، ويتمثل ذلك فى تبديل شهر الصيام من رمضان الى رجب ، وفى تحريم بعض الاطعمة التى أحلها الله تعالى ، وفى السماح بتعدد الزوجات بدون حدود ، وإباحة الطلاق أيضاً دون قيود أو شروط ، وفى تسمية كتابهم المقدس بالقرآن رغم تغييرهم لاسماء سوره ، فسموا بعضها بأسماء الانبياء والبعض الاخر بأسماء الحيوانات . كما يتمثل الاثر الإسلامى فى اعتراف البرغواطية بمن سبق من الانبياء مثل عيسى عليه السلام الذى اعتبره صالح بن طريف من أصحابه ، وموسى الكليم الذى ادعى صالح أنه كلمه ونسب إليه كلاماً كثيراً .

كذلك تأثرت البرغواطية بالتشيع ربما لاحتكاكهم بالشيعة البجلية الذين كثر عددهم فى مدينة تارودانت ونواحيها من المغرب الاقصى . وقد اختلفت المصادر فى أصل هؤلاء الشيعة البجلية الذين كانوا يعيشون بالقرب من تامسنا ، وفيما إذا كانوا على المذهب الاثنى عشرى (الموسوى) أم على المذهب الاسماعيلى [٢٤٠] ، (السبعى) أم أن مذهبهم كان قريباً من مذهب القرامطة ،

ثم ربط بين المعتزلة والشيعة . كما يعزى تأثرهم بالتشيع الى مجاورتهم للأدارسة الحسنيين الشيعة في فاس في النصف الاخير من القرن الثاني للهجرة .

ويظهر أثر الفكر الشيعي [٢٤١] واضحاً في وصية صالح بن طريف الى ولده الياس عند رحيله الى المشرق ، فقد أوصاه بعدم إظهار ديانته إلا إذا أحس بقوته ، وتذكرنا هذه الوصية بمبدأ "التقية" الذى آمن به الأئمة الاسماعيلية ، الذين عرفوا "بالأئمة المستورين" .

ويذكرنا وعده لابنه إلياس بأنه سيعود الى الظهور ، في دولة السابع من ملوكهم ، وبأنه المهدى المنتظر ، بالتشيع عند الاسماعيلية ، فاختياره رقم "سبعة" على وجه الخصوص يوضح تأثره بالمذهب الاسماعيلى الذى أطلق عليه أيضاً اسم السبعية .

وربما كان المذهب الخارجى أكثر المذاهب الإسلامية [٢٤٢] تأثيراً في عقيدة برغواطة وهذا أمر طبيعى ، إذ أن مؤسسها طريف ، كان أصلاً من الخوارج الصفرية . ويتمثل التأثير الخارجي في مبالغة البرغواطيين في التمسك بعقيدتهم ، بحيث أقدموا على محاربة كل الدويلات الاسلامية التى كانت قائمة في المغرب الإسلامى دون هوادة ، وإسرافهم في توقيع العقوبات والحدود كنفى الكاذب ، وقتل السارق ، مما يتفق مع مبادئ الصفرية المفرطة في التطرف ، كذلك يتمثل في قسوتهم في معاملة من يرفض ديانتهم ، وهو أمر يتفق أيضاً مع طبيعة الخوارج الصفرية ، وكذلك في اعتبارهم المسلمين كفرة لا يجوز الزواج منهم .

ب - التأثيرات غير الاسلامية :

وأول هذه التأثيرات ما اقتبسوه في عقيدتهم من الفكر اليهودى خاصة وأن هذه المنطقة من المغرب الاقصى كانت معقلاً لليهود كما سبق أن ذكرنا ، وأن طريف بن شمعون مؤسس هذه الدولة وواضع شرائعها يرجع إلى أصول يهودية . وقد حرص طريف على إبراز هذا الاصل اليهودى في استخدامه اسم شمعون بدلاً من الإسم العربى سمعان .

ويتضح الأثر اليهودى فى تحريم برغواطة أكل البيض ، والإعتقاد فى تأثير اللعاب وهى عادة شائعة عند يهود طنجة ، وتربية الشعور على شكل ضفائر ، وهى من العادات المتبعة عند يهود بولونيا واليمن ، وتقديس الديك وهى عادة لاتزال رواسبها باقية فى منطقة الشاوية ودكالة (٢٤٣) ، التى كانت تدخل فى نطاق دولة برغواطة حيث يحتفل أهل البادية فى بعض مواسمهم بدفن عظام الديك ، كما يتضح الاثر اليهودى فى اهتمامهم ، بما يتعلق بموسى عليه السلام ، ونسبة بعض تعاليمهم اليه . لقد ظهر الفكر اليهودى فى عقيدة برغواطة بصورة واضحة الى حد أن بعض المؤرخين أمثال نحوم سلوتش اليهودى ، ودفردان (٢٤٤) يؤكدون أن دولة برغواطة هى دولة يهودية فى أساسها واتجاهها ، وأن كلمة "ياكش" البربرية التى نادى بها صالح إنما هى تحريف من اسم النبى اليهودى "يوشع" (٢٤٥) .

وأعتقد أنه لا ينبغى أن نستهين بالتأثير اليهودى فى العقيدة البرغواطية استناداً الى الاصل اليهودى لحكامها ، وقيامها فى وسط مجتمعات يهودية كانت قائمة فى المغرب الاقصى ، ويلى التأثير اليهودى تأثير مسيحى واضح المعالم ، وإن كان أقل بكثير من تأثير اليهودية .

فقد سبق أن أوردنا على الصفحات السابقة نصوصاً أوردها ابن أبى زرع وابن خلدون تشير الى وجود بعض المسيحيين فى إقليم فاس فى الوقت الذى نزل فيه إدريس بن عبد الله بن الحسن بوليلى . ويؤكد مارسيه أنه عثر على وثيقتين بمدينة وليلى تتضمنان مايشير الى وجود مواطنين من الروم فى هذا الاقليم كانوا على الديانة المسيحية عند الفتح الاسلامى (٢٤٦) . لذلك لا نستبعد الاثر المسيحى فى الفكر البرغواطى ، خاصة وأن صالح أخبر ولده إلياس ، طبقاً لما أوردته المصادر ، أن عيسى عليه السلام صاحبه وأنه يصلى خلفه . وقد سبق أن أوضحنا آراء بعض المستشرقين أمثال جوتييه من الربط بين الدوناتية المسيحية واستبسال أبنائها فى الدفاع عن مبادئهم ، وبين الخارجية فى المغرب الاقصى وتمسك أبنائها بها ، وربما يذكرنا هذا التفانى الدوناتى فى الدفاع عن عقيدتهم ، باستماتة البرغواطيين فى الدفاع عن عقيدتهم . ولقد بالغ بعض المؤرخين فى هذا الرأى الى حد أنهم فسروا كلمة ياكش الذى جاء بها

صالح على أنها تحريف من أسم السيد المسيح *Jésus* (٢٤٧) . والى جانب هذه التأثيرات السابقة لا يمكن أن نغفل أثر الافكار المحلية البربرية والتى ربما يرجع بعضها الى الوثنية ، فقرآن صالح الجديد كان باللغة البربرية ، وصلاتهم كانت بالبربرية . وقد دفع ذلك البعض الى الربط بين عقيدة برغواطة وبين الديانات الوثنية القديمة ، وقد فسروا كلمة "ياكش" على أنها باخوس إله اليونان (٢٤٨) .

ويرى بعض الباحثين أن الكتابات الواردة فى المصادر العربية عن برغواطة وعقيدتها تتسم بالمبالغة ، رويت لخدمة أغراض مذهبية وسياسية معادية لبنى طريف (٢٤٩) ، وأن دولة برغواطة دولة إسلامية لم تخرج عن شعائر الاسلام ولا عن تعاليمه ، وإنها كانت دولة خارجية صفرية (٢٥٠) ، كما أن قرآن برغواطة لم يكن سوى ترجمة بربرية للقرآن العربى . ونعتقد من جانبنا أن هذا الدفاع عن هراطقة برغواطة باطل ، وأن هذه الدولة لم تكتف بالخروج عن تعاليم الاسلام ، بل عملت على نشر هرطقتها خارج نطاق حدودها مما زاد من خطورتها على الاسلام فى المغرب . ونستدل على هذا الرأى بما يأتى :

١ - أن التعاليم التى جاء بها صالح بن طريف وتنبئه هو ومن جاء بعده من ملوك برغواطة مثل يونس ، وابى منصور عيسى ، وإقدامهم على تحريف الكثير من التشريعات الاسلامية يكفى فى حد ذاته لاثبات ان برغواطة دولة خارجة عن الإسلام . أما قول بعضهم أن قرآن صالح بن طريف لا يعدو ترجمة بربرية للقرآن الكريم فمرفوض ولا يمكن الأخذ به ، استناداً الى أن مازودنا به البكرى عن الآيات الواردة فيه رغم قلته يكفى للتأكيد بأنهم مسخوا القرآن الكريم ، وتصرفوا فى أسماء الآيات والسور على هواهم . أما الزعم بأن المصادر العربية بالغت فى وصف عقيدة برغواطة لمصالح خاصة فقول مرفوض ، إذ أن الاخذ بهذا القول يعنى به الطعن فى صحة الروايات التى ساقها كتاب المسلمين الثقة ، أمثال البكرى وابن عذارى وابن خلدون وابن ابى زرع ، واتهامها بالتحيز والخروج عن الموضوعية . وإذا افترضنا جدلاً عدم موضوعية هؤلاء فيما يتعلق بنصوصهم عن برغواطة ، ألا يقتضى المنهج التاريخى والعلمى منا أن نتشكك أيضاً فى صحة بقية النصوص التى أوردوها من أخبار ووقائع تاريخية أخرى ؟ فكيف يجوز الاخذ ببعض هذه النصوص ورفض بعضها الآخر ؟

٢ - إن النصوص التاريخية التى أوردتها المصادر وخاصة البكرى ، وابن خلدون وابن عذارى عن عقيدة برغواطة ، إنما جاءت على لسان أحمد البرغواطيين وهو زمور الذى أرسله ابو منصور عيسى سفيراً الى الحكم المستنصر سنة ٣٥٢ هـ . ولو أن هذه الاخبار المتعلقة بعقيدة برغواطة وتنبؤ ملوكها باطلة أو منحولة عليهم لكان زمور تصدى لإنكارها وتكذيبها فى حضرة الخليفة الأموى العالم الحكم المستنصر ، ذلك أن حقيقة أمر برغواطة ومواطن عقيـدتها كانت معروفة فى كل من المغرب والاندلس يعرفها الخاص والعام ، ولهذا لم يعمد زمور فيما يظهر الى إخفائها ، واضطر الى توضيح ما غمض فيها أمام الحكم المستنصر ، واكتفى بإحاطة طريف رأس ملوكهم بهالة أسطورية ، وحرص على أن يسبغ عليه أمجاداً وبطولات ، وزعم أنه هو نفس طريف ابن مالك المعافرى صاحب أول سرية الى الاندلس .

٣ - لو أن برغواطة دولة إسلامية على المذهب الخارجى الصفرى كما يذكر المدافعون عنها فكيف نفسر محاربة كل الدول الاسلامية فى المغرب الاقصى على اختلاف مذاهبها لها ، وحرصها على مجاهدتها . فكما سبق أن أوضحنا لم تسلم برغواطة من الأدارسة ولا من الفاطميين وأتباعهم ، ولا من جيوش المنصور بن أبى عامر ، ولا من بنى (٢٥٠) يفرن الزناتيين ، بل أن بنى يفرن أصحاب سلا كانوا أشد وطأة على برغواطة من أى قوى أخرى مناوئة لهم . ويسوق كل من ابن ابى زرع ، والسلاوى الناصرى رواية نستنتج منها كيف كان الامير أبى الكمال تميم اليفرنى الذى اشتهر بصحة إسلامه وتدينه واستقامته مولعاً بجهاد برغواطة ، فكان يغزوهم فى السنة مرتين الى أن توفى سنة ٤٤٨ هـ ، فلما قتل ولده سنة ٤٦٢ هـ فى حرب لمتونة ، وحملت جثته لتدفن الى جوار قبر والده تميم ، سمعوا من داخل قبر أبيه تكبيراً ، فنبشوا قبره فألفوا جسده كما هو لم يتغير منه شيء ، وتذكر تلك المصادر أن الملائكة كانت تحف بقبره وتهلل وتسبح ثواباً لتميم على جهاده ضد برغواطة (٢٥٢) . ومن الواضح أن تصدى مسلمى المغرب لمحاربة برغواطة كان يعتبر جهاداً فى سبيل الله فى نظرهم ، وكان الجهاد من اهم الدعائم التى قامت عليها دولة المرابطين ، وكان جهاد المجوس البرغواطيين على حد قول ابن ابى زرع أهم أهداف المرابطين .

ويؤكد هذه النزعة الجهادية كثرة عدد الاربطة التى أنشأت على سواحل المغرب الأقصى خصيصاً لقتال برغواطة وجهادها ، ومن ذلك رباط سلا ، الذى أورد ابن حوقل ذكره في القرن الرابع الهجرى ، وقد وصفه بقوله «وبسله رباط يرابط فيه المسلمون . وعليه المدينة الازلية المعروفة بسله القديمة . وقد خربت والناس يسكنون ويرابطون برباطات تحف بها ، وربما اجتمع فى هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان يزيدون فى وقت وينقصون لوقت ، ورباطهم على برغواطة من قبائل البربر على البحر المحيط متصلين بهذه الجهة التى ستت عمارة الاسلام اليها يغزون ويسبون ...» (٢٥٣) .

ويذكر المؤرخ المغربى المعاصر عبد العزيز بن عبد الله أن هذا الرباط الذى تحدث عنه ابن حوقل كان يقع على الجانب الشمالى لوادى مدينة سلا عاصمة بنى يفرن ، ويرجع هذا المؤرخ وجود رباطين متميزين فى سلا أحدهما أقيم على الوادى على مقربة من البحر ، والآخر بجانب أنقاض سلا القديمة ، وقد يكون أحدهما رباط عبادة ، والاخر رباط جهاد (٢٥٤) . ويرى د . أحمد مختار العبادى أن هذا الرباط الذى ذكره ابن حوقل فى سلا ، يبين أن الحدود الشمالية لدولة برغواطة ، وصلت قريباً من موضع الرباط الحالية ، ويؤكد د . العبادى أن اسم الرباط وتاريخها يوحى بأنها كانت رباطاً لجهاد برغواطة ، ويرى أن مدينة الرباط الحالية ، ربما كانت رباط سلا الذى ذكره ابن حوقل (٢٥٥) .

ومن الاربطة التى نشأت لجهاد برغواطة رباط شاكر القائم حتى الآن بالقرب من مدينة مراكش ويسميه الاهالى فى يومنا هذا سيدى شيكر .

ويذكر ابن الزيات التادلى أن مؤسس رباط شاكر هو يعلى بن مصلين الرجراجى وأنه كان من بين المجاهدين الذى قاتلوا كفار برغواطة ، وقد أسس هذا الرباط عند قبر شاكر أحد أصحاب عقبة بن نافع (٢٥٦) هذا بخلاف أربطة ماسة وفوز ونفيس التى انتشرت على سواحل المغرب الجنوبية (٢٥٧) . وكان أمير سجلماسة محمد بن الفتح ابن مدرار الملقب بالشاكر بالله ، والذى نبذ مذهب الخوارج ، وكان شديد التدين ، دعا قومه الى جهاد برغواطة سنة ٣٤٠ هـ ، ولكنه لم يحقق مأربه «لقلة من كان يدعو الى غزوهم من البربر» ولمهاجمة

الفاطميين لبلاده بقيادة جوهر الصقلي سنة ٣٥٤ هـ [٢٥٨] .

٤ - وفي اعتقادي أن دولة برغواطة أثرت بعقائدها الخارجة على الاسلام ، على المناطق المحيطة بها ، فانتشرت الآراء الهرطقية في كافة أنحاء المغرب العربي الإسلامي بتأثير منها ، من ذلك ما أورده كل من البكري ، وابن خلدون في سياق حديثهما عن بني صالح بن منصور الحميري أصحاب نكور ، فهما يذكران أن صالح بن منصور استخلص نكور لنفسه بعد أن أقطعه إياها الوليد ابن عبد الملك سنة ٩١ هـ ، وكانت تجاوره قبائل مطماطة وزواغة وجراوة وغساسة وبني مروان من غمارة وبني يرنيان وبني واسن . وقد اجتمعت على صالح قبائل غمارة وصنهاجة ، وأسلموا على يديه ، وانتشر الإسلام فيهم . وبعد مضى فترة من الزمن ثقلت عليهم الشرائع والنفقات فارتدوا عن الاسلام ، وأخرجوا صالح بن منصور ، وولوا على أنفسهم رجلاً من نفزة يعرف بالرندي . ثم عادوا الى الإسلام وتابوا وأرجعوا صالح بن منصور [٢٥٩] .

وأعتقد أن حركة نكور كانت معاصرة لخروج طريف بن شمعون في تامسنا وظهور ولده صالح الذي أثر على بربر هذه المنطقة بسحره وعلومه التي تعلمها في المشرق ، فكل من الحركتين ظهرت في أوائل المائة الثانية من الهجرة ، ثم أن انتماء "الرندي" الى قبيلة نفزة التي من بطونها مغيلة ومطغرة حلفاء طريف يوحي بوجود نوع من الصلة بين الحركتين . يضاف الى ذلك احتمال نسبة الرندي الى مدينة رندة الواقعة جنوب الاندلس وهو موقع لا يبعد كثيراً عن برباط الموطن الاول لطريف ، كل هذا يربط بين الرندي في نكور وطريف وولده صالح في تامسنا ، ويؤكد تأثر كل حركة منهما بالاخرى .

ومن مظاهر تأثير برغواطة على المناطق المجاورة لها ، ظهور عاصم بن جميل أمير ورفجومة من بطون نفزة سنة ١٣٨ هـ ، وكان من غلاة الصفرية ، بعقائد تشبه الى حد كبير عقائد صالح بن طريف . وقد ادعى عاصم النبوة والكهانة وأسقط ذكر النبي (ص) من الآذان ، وزاد في الصلاة ، ثم زحف وأتباعه الى القيروان ، واستحلوا المحارم ، وارتكبوا الكبائر ، وهو بذلك يعد مقلداً لصالح الذي تنبأ قبله في عام ١٢٥هـ أو عام ١٢٧ هـ ، متشبهاً بسلوك ملوك برغواطة.

من حيث اصطناع العنف في فرض تعاليمه (٢٦٠) .

ومن الحركات الهدامة التي ظهرت في المغرب ، وتردد صداها في الاندلس ، ونرى أنها متأثرة بعقائد برغواطة ، الحركة التي ظهرت في تلمسان سنة ٢٣٧ هـ ، وأورد ابن أبي زرع تفاصيلها ، فقد ظهر رجل مؤذن ، في ذلك العام ، وادعى النبوة ، وتأول القرآن على غير وجهه ، فاتبعه خلق كثير . وكان من شرائعه التي شرعها أنه نهى عن قص الشعر وتقليم الأظافر ونتف الابطين وأخذ الزينة ، وهي تتشابه الى حد كبير مع شرائع العقيدة البرغواطية . وقد انتهى أمر هذا المتنبئ بأن قتله أمير الاندلس (٢٦١) .

هذا ويتضح تأثير برغواطة وعقائدها بجلاء في تلك الحركة الخارجة عن الإسلام ، والتي ظهرت في غمارة المجاورة لبرغواطة بزعامة حاميم بن مَن الله بن حريز بن عمر الذي يكنى بأبي محمد ، وكانت بلده غمارة مجاورة لنكور التي سبق أن ارتد أهلها عن الاسلام بزعامة الرندي . وقد لقب حاميم هذا بالمفترى لانه شرع ديانة تشبه الى حد كبير ديانة برغواطة في الكفر والضلال ، فقد تنبأ سنة ٣١٠ هـ وفقاً لما أورده صاحب مفاخر البربر ، وسنة ٣١٣ هـ في رواية ابن خلدون ، وسنة ٣٢٥ هـ في رواية ابن ابي زرع .

لقد تشبه حاميم بصالح بن طريف ، فشرع لاتباعه العبادات والاحكام ، ووضع لهم قرآناً كان يتلوه عليهم بلسانهم شأنهم في ذلك شأن برغواطة . وجعل الصلاة صلاتين عند طلوع الشمس ، وعند غروبها ، وكانوا يسجدون على بطون أكفهم . كما فرض عليهم صوم يوم الخميس كله ، وصوم يوم الاربعاء الى الظهر ، وأمر أتباعه بصوم ٢٧ يوماً من رمضان . أما الزكاة فكانت تتمثل عنده في العشر من كل شيء ، وأسقط عن أتباعه الطهر والوضوء وأحل لهم أكل الخنزير وحرم عليهم أكل السمك إلا إذا ذبح وحرم عليهم البيض والطيور . ومن ذلك كله يتضح التأثر الواضح بتعاليم برغواطة (٢٦٢)

نهاية برغواطة:

نجح المرابطون في القضاء على الكيان السياسي لبرغواطة . فلم تظهر بعد ذلك كدولة لها حكامها المستقلون ، كما تمكن المرابطون من القضاء على الافكار

الدينية الخارجة عن الاسلام . واشتهرت برغواطة على مدى قرون ثلاثة من الزمان ، ولكننا نطالع فى مصادر تاريخ المغرب فى عصر دولة الموحدين اسم برغواطة بين الثوار والمتمردين ، فيذكر كل من البيذق ، وابن عذارى ، وابن ابى زرع ، والسلاوى الناصرى أن ثائراً يدعى محمد بن هود الهادى الماسى خرج على عبد المؤمن بن على خليفة الموحدين فى سنة ٥٤٢ هـ ، وكان قصاراً بسلا وانتشرت ثورته ، وبايعه أهل تامسنا كلهم من برغواطة وأكثر بلاد المصامدة وجميع القبائل حتى أنه لم يبق تحت طاعة عبد المؤمن سوى مراكش ، فأرسل عبد المؤمن بن على ، جيشاً لقتاله من الموحدين تحت قيادة الشيخ أبى حفص ، واشتبك هذا الجيش الكبير مع قوات الماسى فى موقعة عنيفة دارت فى موضع من بلاد تامسنا ، وانتهت بمصرع الماسى وانهزام أتباعه .

وفى سنة ٥٤٣ هـ تجددت ثورة برغواطة ، فخرج عبد المؤمن بن على من مراكش لغزوهم ودارت بينه وبينهم حروب عديدة ، انهزم فيها عبد المؤمن بن على فى بادىء الامر ، ولكن سرعان ما رجحت كفته فتغلب عليهم ، وقتل كل رجالهم ، ولم يبق إلا على الاطفال . ورغم ذلك فقد انتهزت برغواطة قيام ثورة فى سبتة ضد حكم الموحدين وانضمام الثائر المعروف بالصحراوى إليها ، حتى اشتركت فى هذه الثورة ، وكاتب البرغواطيون الصحراوى فى سبتة يستنصرون به فأتاهم ، فبايعوه ، واجتمعوا عليه ، وعادوا لقتال عبد المؤمن بن على وأوقعوا به الهزيمة . بيد أن عبد المؤمن بن على بادر بترتيب جيوشه ، واشتبك مع برغواطة والصحراوى فى قتال ضار انتهى بهزيمتهم ومصرع عدد كبير منهم . وهرب الصحراوى متخلياً عن برغواطة ، وأرسل الى عبد المؤمن بن على يطلب منه الأمان (٢٦٣) .

تلك كانت نهاية برغواطة فلم يعد لها بعد ذلك ذكر فى المصادر التاريخية . ويجدر بنا أن نوضح فى ختام هذا البحث أن دور برغواطة كدولة ملحدة انتهى تماماً منذ أن تغلب المرابطون عليهم . وأن هذه الثورة التى اشعلت برغواطة نيرانها فى عصر الموحدين كانت ثورة قبلية على حكم الموحدين . ومن الغريب أنه انتشرت فى هذه المنطقة من بلاد المغرب الأقصى بعد أن قضى المرابطون على دولة برغواطة ، وتحولت بعد ذلك إلى بلد إسلامى طوال عصر دولتى

المرابطين والموحدين ، حركة دينية صوفية ، قد تكون رد فعل للحركات الالحادية والهرطقات التي شملت هذه البلاد في القرون الثلاثة الثاني والثالث والرابع للهجرة . وظهر من برغواطة نفسها وتامسنا عدد من الفقهاء وعلماء الدين المشهورين من أهمهم الفقيه الصالح الزاهد أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز البرغواطي [٢٦٤] (ت . سنة ٦٨٨ هـ) نزيل آزمور ، والشيخ الفقيه الاديب أبو اسحاق ابراهيم بن مناد البرغواطي نزيل أنفا (ت بين ٦٧٠ ـ ٦٨٠ هـ) [٢٦٥] ، ومن بين العلماء الذين رحلوا من تامسنا قاصدين آزمور للتحصيل والدراسة ـ وهو أمر يؤكد ما ذهبت إليه من حدوث حركة دينية مضادة لهرطقة برغواطة في هذا الاقليم ـ الشيخ الفقيه أبو ابراهيم عبد الواسع بن عبد السلام الصنهاجي نزيل آزمور (ت ٦٦٧هـ) ، والشيخ أبو علي عمر بن موسى الهواري نزيل آزمور ، والشيخ ابو مروان عبد الملك بن محمد الكتامي الذي درس بسبتة وتوفي بآزمور سنة ٦٩٣ هـ ، والشيخ ابو علي المنصور المسطاسي الزموري الذي قرأ بقرطبة على علمائها وتوفي بازمور سنة ٥٤٠ هـ وقبره مشهور بها ، والشيخ الفقيه القاضي ابو الحسن بن حمادوه الصنهاجي الذي ولي قضاء آزمور في خلافة المستنصر الموحدي وذلك في سنة ٦١٦ هـ ، والشيخ ابو موسى عيسى بن تلالين الجزولي الذي رحل الى المشرق ، ثم عاد ودخل الاندلس ، وقدم إلى آزمور في عهد الناصر الموحدي [٢٦٦] .

ومن نزلاء أنفا الشيخ الفقيه القاضي ابو عبد الله محمد بن اسحق الفزاري الذي ولي القضاء بها في دولة المرتضى ، وله قبر مشهور بها عند الباب القبلي من الجامع الكبير . ومن نزلاء آسفي الشيخ الفقيه الانفي ابو علي الحسن بن حسون الكفيف الذي توفي بها وله مؤلف سماه «الترجيح والتنقيح في الناسخ والمنسوخ» .

تم بحمد الله

المصادر والحواشي

١ - عن برغواطة وقيامها فى إقليم تامسنا ارجع الى ابن ابى زرع "ابو الحسن على بن عبد الله القاسى" كتاب الانيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس" ، تحقيق تورنبرج ، أو بسالة ، ١٨٤٣ ، ص ٨٢ ، ٨٣ ـ عبد الرحمن بن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، القسم الاول ، المجلد الاول ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٦٨ ، ص ٤٢٨ ـ السلاوى "ابو العباس احمد بن خالد الناصرى" الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، الدولتان المرابطية والموحدية ، تحقيق وتعليق ولدى المؤلف الاستاذ جعفر الناصرى والأستاذ محمد الناصرى ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ ، ص ١٤ ـ مجهول ، نبذ تاريخية منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر ، نشر وتصحيح ليفى بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤ ، ص ٤٧ ـ محمد ولد داداه ، مفهوم الملك فى المغرب من انتصاف القرن الأول الى انتصاف القرن السابع ، دراسة فى التاريخ السياسى ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٧ ، ص ٧٣ ـ أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٤٨٨ ـ محمود إسماعيل ، حقيقة المسألة البرغواطية ، مغربيات ـ دراسات جديدة ، المغرب ، ١٩٧٧ ، ص٢٠ ـ محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص٢٩٥ *M. Talbi, The independence of the Maghrib, General history of Africa, Vol III, Unesco, 1988, p.250 - M. El Fasi and I.Herbec, Stages in the development of Islam and its dissemination in Africa, . General history of Africa, vol III, Unesco, 1988, p.65* سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربى حتى قيام دولة الأغالبة والرستميين والأدارسة ، طبعة دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٥ ، ص٤١٦ ـ ٤١٧ ـ محمود إسماعيل ، الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى ، الدار البيضاء ، ١٩٧٦ ، ص ٤٨ حاشية ١٦١ ـ رجب

محمد عبد الحليم ، دولة بنى صالح فى تامسنا بالمغرب الأقصى ، القاهرة ، ١٩٦١ وقد نسب الأستاذ الدكتور رجب محمد عبد الحليم الدولة الى صالح وأولاده رغم أنه أكد فى بحثه أن واضع الاساس لهذه الدولة هو طريف والد صالح (ارجع الى المرجع ص ٢٩) ورغم إشارة أغلب المصادر الى هذه الحقيقة ، وقد برر الدكتور رجب هذه النسبة الى صالح بأن الحكم بقى فى ذريته وحده دون إخوته .

ونحن نميل الى تسمية هذه الدولة إما بدولة برغواطة أو بدولة بنى طريف الجد الاول لملوك هذه الاسرة الحاكمة ، وذلك تمييزاً لهذه الدولة التى قامت فى تامسنا عن دولة بنى صالح التى قامت فى نكور .

أما إقليم تامسنا *Tamasna* ، فقد كان طبقاً لما ذكره الحسن بن محمد الوزان (ليون الافريقى) أحد أقاليم مملكة فاس ، فقد قسم الحسن الوزان بلاد البربر الى أربعة ممالك : الاولى مملكة مراكش التى تنقسم الى سبعة أقاليم هى حاحا وسوس ومراكش وجزولة ودكالة وهسكورة وتادلا . والثانية مملكة فاس التى تضم بدورها سبعة أقاليم هى تامسنا وفاس وأزغار والهبط والريف وكرط والحوز . والثالثة مملكة تلمسان وفيها ثلاثة أقاليم ، الجبال وتنس والجزائر ، والرابعة مملكة تونس وتخضع لها أربعة أقاليم : بجاية وقسنطينة وطرابلس الغرب والزاب (الحسن بن محمد الوزان الفاسى ، وصف أفريقيا ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣ ، ترجمة محمد حجى ومحمد الاخضر ، جـ ١ ، ص ٣٠ ، ٣١)

وتامسنا كلمة بربرية ، بلهجة زناتة ، تعنى البسيط الخالى ، أطلقت على المنطقة السهلية الممتدة على ساحل المحيط الاطلسى من الرباط الى الدار البيضاء ، وعلى وجه التحديد فإن حد تامسنا الشمالى مدينة سلا أى الضفة الشمالية لنهر أبى رقراق ، وحدها الجنوبى آسفى (عبد العزيز بنعبد الله ، سلا أولى حاضرتى أبى رقراق ، سلا ، ١٩٨٩ ، ص ١٠٢) . وقد عرفت هذه المنطقة بالشاوية ، عقب تلاشى برغواطة فى عهد بنى مرين ، اشتقاقاً من كلمة شاه ، حيث كان عرب بنى هلال الذين نزلوا فى هذه

المنطقة واستوطنوا بها ، يقومون برعي الأغنام والماشية فعرفوا لذلك بالشاوية . وقد سمى أحد أبواب مدينة الرباط بإسم "باب تامسنا" ولا تزال لفظة تامسنا تطلق على صحراء غدامس بمعنى الارض القفر الخالية (أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٤٨٨) . وكان لموقع تامسنا بمحاذاة المحيط الاطلسى أكبر الأثر فى اشتغال سكانها البرغواطيين بأعمال القرصنة ، فكانوا يعترضون السفن التجارية المارة فى مضيق جبل طارق ويسطون عليها (أنظر تحقيق د. أحمد مختار العبادى لكتاب لسان الدين بن الخطيب ، أعمال الإعلام ، القسم الثالث ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤ ، ص١٨١ حاشية ٣) . وهناك من الباحثين من يفسر لفظة تامسنا بأنها مشتقة من كلمة تيمزين التى تعنى الشعير ، وكانت زراعته مزدهرة فى هذه المنطقة . كما يرى البعض الاخر أن اللفظة تنعت بها الة طحن الحبوب أو الرحى (ميلود عشاق ، من تاريخ المغرب الوسيط ، ملاحظات حول المسألة البرغواطية ، العلم الثقافى ، العدد ٩٧٢ ، مايو ١٩٩٠ ، الرباط ، ص ٢) .

٢ - من بين المؤرخين القدامى الذين وصموا برغواطة بالهرطقة ابن ابى زرع الذى وصفهم بأنهم "مجوس ، أهل ضلال وكفر" (ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص٨٢ ، ٨٣) والحسن بن الوزان الذى وصفهم بالزندقة .(الحسن بن الوزان ، وصف أفريقيا ، ص ١٩٤) .

٣ - من الباحثين الحديثين الذين تصدوا للدفاع عن عقيدة برغواطة الدكتور محمود إسماعيل فى بحثه حقيقة المسألة البرغواطية ، ص١٣ - ٥٥ . والمؤرخ الجليل د . سعد زغلول عبد الحميد الذى يرى أن المصادر العربية بالغت فى وصفها لعقيدة برغواطة لأن معظم المؤرخين كانوا يخدمون أغراضاً مذهبية وسياسية معادية لبنى طريف (سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربى ، ص ٤١٨) . وكذلك الدكتور رجب محمد عبد الحليم الذى دافع عن طريف مؤسس هذه الدولة واعتبره مسلماً وفياً لمذهبه ولبنى وطنه بينما وصف ولده صالح بأنه كان من أهل العلم والخير (ارجع الى رجب محمد عبد الحليم ، دولة بنى صالح فى تامسنا بالمغرب الاقصى

(١٢٥ ـ ٤٥٥ هـ ـ ٧٤٣ ـ ١٠٦٣م) ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص٤٧ ومايليها)

- محمد ولد داداه ، مفهوم الملك فى المغرب ، ص ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٤ ـ محمود اسماعيل ، حقيقة المسألة البرغواطية ، ص ٢٤ ، ٢٥ ، سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربى ، ص ٤١٧ .

٥ - عن تأثر عقائد برغواطة بالمسيحية ارجع الى *Terrasse, Histoire du Maroc, t. I, Casablanca, 1944, p.129, - N.Slouch, L'empire des Berghouata et les origines des Blad-es-Siba, Revue du Monde Musulman, t.II, Paris, 1910, p.398.*

أما الدوناتية فهى نحلة مسيحية نسبة الى دوناتوس *Donatus* ، أسقف نوميديا الذى رفض الاعتراف باختبار بعض قساوسة الغرب لسيسيليان أسقفاً لقرطاجنة سنة ٣١١م لشكه فى ولاء هؤلاء القساوسة للعقيدة المسيحية . وقد آزرت الكنيسة والسلطات الرومانية سيسيليان ، بينما ناصر البربر وخاصة الفقراء منهم دوناتوس ، ثم مالبث الحزب الدوناتى أن انشق على نفسه ، فظل دوناتوس على رأس المعتدلين ، بينما ظهر زعيم جديد هو سيركونسليون ، دفع الدوناتية الى التطرف والعنف ، وانضم اليه الفقراء المطحونين الذين كانوا يتطلعون الى الثراء وينادون بالمساواة ، وتحولت النحلة الدينية بذلك الى حركة اجتماعية بحتة تستهدف تجريد الفقراء لثروات الاغنياء ، وأطلق عليها حركة الدوارين *Circum cellas* ، أى الذين يحومون حول مستودعات حبوب الاغنياء لسرقتها . (شارل اندرى چوليان ، تاريخ أفريقية الشمالية من الفتح الإسلامى الى سنة ١٨٣٠م ، تونس ١٩٧٨ ، ص٢٩٧ ومايليها ، حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص١٨٨ ، محمود إسماعيل ، الخوارج فى بلاد المغرب ، ص٥٧ حاشية ٢١٧) . ويرى بعض الباحثين (محمود إسماعيل ، الخوارج فى بلاد المغرب ، ص٥٦ ، ٥٧ ، حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، ص١٨٧) أن هناك تشابهاً كبيراً بين الدوناتية المسيحية فى

بلاد المغرب ، وبين الخارجية الاسلامية هناك ، ويؤكد جوتييه أن الدوناتيين كانوا يعلقون أمر العقيدة كلها على فرع من فروعها مثلهم فى ذلك مثل خوارج المغرب ، كما أن الدوناتيين كانوا يتعصبون لمبادئهم تعصباً أعمى ، وفى سبيل تلك المبادئ كانوا يضحون بأرواحهم ، وهم فى ذلك يشبهون خوارج المغرب المتطرفين وعلى الأخص الصفرية (حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، ص١٨٩) . ومن المعروف أن طريف بن شمعون مؤسس دولة برغواطة كان خارجياً صفرياً (لمزيد من التفاصيل عن الخوارج فى المغرب وحماسهم فى سبيل عقيدتهم ارجع الى *E. Levi-Provençal, Histoire de l'Espagne Musulmane, Tome Premier, Paris, Leiden,1950, pp. 43, 442.*

٦ - مفاخر البربر ، ص٤٧ .

٧ - ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، جـ ٣ ، ص١٨١ .

٨ - انظر تعليق د. حسين مؤنس على ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٥١ ، حاشية رقم ١ ـ حسين مؤنس فجر الاندلس ، ص١٤٦ .

٩ - *M.Talbi, The independence of the Maghrib, p250.*

١٠ - ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

١١ - المصدر السابق ، ص٤٢٧ .

١٢ - نفس المرجع السابق ، ص٤٣٥ .

١٣ - حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص٣٤ .

١٤ - *M.El Fasi and I.Herbek, Stages in the development of Islam, p.65,228.*

١٥ - محمد ولد داداه ، مفهوم الملك فى المغرب ، ص٧٣ .

١٦ - ميلود عشاق ، ملاحظات حول المسألة البرغواطية ، ص٦ .

١٧ - *Terrasse, Histoire du Maroc, Casablanca,1944,p22.*

١٨ - ابن ابى زرع ، الروض القرطاس ، ص٨٢ ، ٨٣ .

١٩ - لسان الدين بن الخطيب ، أعمال الاعلام ، القسم الثالث ، تحقيق وتعليق د. أحمد مختار العبادى والاستاذ محمد ابراهيم الكتانى ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤ ، ص١٨٠ ، وإن كان ابن الخطيب قد ذكر فى موضع آخر أنهم ينتسبون الى زناتة (أعمال الإعلام ، جـ ٣ ، ص١٨١) .

٢٠ - السلاوى الناصرى ، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، جـ ٢ ، ص١٦ .

٢١ - محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف منذ قيامها ، ص ٢٠٨ .

٢٢ - أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص٤٨٨ .

٢٣ - الحسن بن الوزان ، وصف أفريقيا ، ص٢٤٧ ـ *Terrasse, Histoire du Maroc, p22, 108, 128.* ـ عبد العزيز بنعبد الله ، سلا أولى حاضرتى أبى رقراق ، ص ٩ ـ أحمد مختار العبادى فى تحقيقه لكتاب أعمال الاعلام لابن الخطيب ، ص١٨١ حاشية ١ .

أما نهر أم الربيع فهو من أكبر أنهار المغرب الأقصى ، وينبع من أكثر مناطق جبال الاطلس ارتفاعاً تجاه تادلا وفاس . ويشق طريقه عبر سهول أدخسان (خنيفرة فى الوقت الحالى) . وكان السلطان أبو الحسن المرينى قد ابتنى فوقه جسراً ، وكان النهر يخترق الأرض فيما وراء هذا الجسر ، ناحية دكالة وتامسنا إلى أن يصب فى المحيط الاطلسى بالقرب من مدينة أزمور .

وتمد نهر ام الربيع بعض الروافد بالمياه (الحسن بن الوزان ، وصف افريقيا ، ص٢٤٧) .

أما نهر أبى رقراق (بور جرج) فقد كان يطلق عليه اسم وادى سلا ووادى وانسيفين ، ووادى أسمير ، ووادى الرمان (ولمزيد من التفاصيل ارجع الى عبد العزيز بنعبد الله ، سلا أولى حاضرتى أبى رقراق ، ص٩ ، ١٠) . ويرجح د . أحمد مختار العبادى أنه هو نفسه وادى الغبط الذى يفصل

سلا عن الرباط ، وقد ذكره ابن الخطيب فى كتابه نفاضة الجراب (أحمد مختار العبادى فى تحقيقه لأعمال الاعلام ، ص١٨١) .

٢٤ - ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص٤٣٧ ، حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، ص٥٣ .

٢٥ - ابن الأثير (عز الدين ابو الحسن على بن ابى الكرم) الكامل فى التاريخ ، بيروت ، ١٩٦٥ ، المجلد الرابع ، ص ١٠٥ وما يليها ، ابن عذارى (ابو العباس أحمد) البيان المغرب فى أخبار المغرب ، تحقيق ليفى بروفنسال ، وكولان ، ليدن ، ١٩٤٨ - ١٩٥١ ، جـ ١ ص ٢٧

٢٦ - الرقيق القيروانى ، تاريخ أفريقيا والمغرب ، بدون تاريخ ، ص ٦٩ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٤٢ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٧ ولمزيد من التفاصيل ارجع الى حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٤٩ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، ص ١٧٠ وما يليها ، سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربى ، ص ٢١٢ ، رجب محمد عبد الحليم ، دولة بنى صالح ، ص ١٨ ، ويذكر د. رجب أن الإسلام بدأ ينتشر فى بلاد تامسنا منذ فتوحات عقبة بن نافع الذى اهتم بإنشاء المساجد فى البلاد التى يفتحها وإن كان يؤكد أن إتمام فتح تامسنا وكل بلاد المغرب الأقصى قد تم على يد موسى بن نصير (المرجع السابق ، ص ١٦ ، ١٧) واستطرد د. رجب عبد الحليم فى توضيح أهم المساجد التى ابتناها عقبة بن نافع وموسى بن نصير كما أوضح أن حركة انتشار الإسلام ازدادت عمقاً فى بلاد المغرب فى عهد الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز على وجه الخصوص لأنه اختار ولاته على هذه البلاد من التقاة الصلحاء (نفسه ، ص ٢٠) بحيث أنه لم يبق فى ولاية عامله على هذه البلاد إسماعيل بن عبيد الله ، أحد من البربر إلا أسلم . كذلك عرض لنا د. رجب أسماء أشهر عشرة فقهاء قام الخليفة عمر بن عبد العزيز بإرسالهم الى مختلف نواحى المغرب (نفسه ، ص ٢١) . ونفهم من حديثه هذا أن الإسلام قد تغلغل فى جميع أنحاء بلاد المغرب بما فيها تامسنا فى الفترة

الواقعة من عهد عقبة بن نافع وحتى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١ هـ) حتى أنه يقول «غلب الإسلام عليهم (البربر) وعلى بلادهم وأصبحوا جميعاً مسلمين منذ ولاية إسماعيل بن عبيد الله ، ودانت هذه البلاد من برقة إلى السوس للعرب ...» (نفسه ، ص ٢٢) ، ولكننا نجد الدكتور رجب عبد الحليم يعود ليؤكد ما ذكره من انتشار الإسلام فى تامسنا خلال النصف الثانى للقرن الأول الهجرى ، أن بعض أصحاب الديانات السابقة مثل النصرانية واليهودية والمجوسية ظلوا ينتشرون فى المناطق الساحلية والسهلية فى المغرب الأقصى فى حين ظلت داخلية البلاد التى تكثر فى الشعاب الجبلية على الوثنية وهو فى ذلك يقول «رغم انتشار الإسلام على هذا النحو فى بلاد المغرب الأقصى ومنها اقليم تامسنا بطبيعة الحال ، إلا أنه فيما يبدو كان للبيئة الطبيعية والجغرافية أثرها فى بقاء بعض الديانات السابقة على الاسلام فى هذه البلاد مثل النصرانية واليهودية والمجوسية ... أما داخلية البلاد التى تكثر فيها الشعاب الجبلية والهضاب العديدة والطبيعة الجغرافية المعقدة . فقد كانت الكثرة فيها من السكان على الوثنية» (ص ٢٣) . ثم يأتى بحقيقة مغايرة لما سبق أن ذكره وهى أن إسلام أهل تامسنا تم فى عهد أول أمراء الأدارسة إدريس بن عبد الله (١٧٢ - ١٧٧ هـ) . وهذا يعنى أن أهالى تامسنا كانوا عند قيام دولة طريف فى برغواطة لا يزالوا إما على ديانات سابقة أو وثنيين . ونحن نرفض ما سبق أن أكد عليه د. رجب عبد الحليم بقوله أن الإسلام قد انتشر هناك فى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز . وسوف نوضح على الصفحات التالية أن منطقة تامسنا كانت تكتظ باليهود ، وكانت أعدادهم هناك تقدر بالآلاف وقد أسرف ابن أبى زرع فى وصف جهود الأمير أبى الكامل تميم اليفرنى فى قتاله اليهود والنصارى فى منطقة فاس والسوس الأدنى . ونحن نأخذ بالرأى القائل بأن تحول المغرب كله الى الاسلام لم يتم إلا فى القرن الرابع الهجرى *(Fasi, The : Islamisation of North Africa, Unesco, 1988, p. 66)* وحتى من أسلم من أبناء هذه المناطق النائية مثل تامسنا فقد كان اسلامه سطحياً

ممتزجاً بتعاليم أديان ومذاهب أخرى كما سنوضح فيما بعد .

٢٧ - ميلود عشاق ، من تاريخ المغرب الوسيط ، ملاحظات حول المسألة البرغواطية ، ص ٢ . وهو يرد فى هذا المقال على كثير من الآراء التى أوردها د. محمود إسماعيل فى بحثه «حقيقة المسألة البرغواطية» .

٢٨ - الحسن بن الوزان ، وصف أفريقيا ، ص ١٩٤ .

٢٩ - المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

٣٠ - ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، تحقيق . د. أحمد مختار العبادى ، جـ ٣ ص ١٨١ ، حاشية ١ .

٣١ - الحسن بن الوزان ، وصف أفريقيا ، ص ٢٠٣ .

٣٢ - أحمد مختار العبادى ، فى تحقيقه لأعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٨١ حاشية ١ ، وطنجة مدينة أزلية قديمة بالمغرب الأقصى ، تقع عند الطرف الغربى لمضيق جبل طارق بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسى ، ولا يفصلها عن الشاطئ الأسبانى سوى ١٨ ك. م ، وهى تمثل آخر حدود أفريقية من المغرب ، ويفصل بينها وبين القيروان ألفا ميل (ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، بيروت ١٩٥٧ ، جـ ٤ ، ص ٤٣ ، أحمد مختار العبادى ، أعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ٢٠٣ حاشية ١) وتبعد طنجة عن سبتة بنحو ثلاثين ميلاً فى البر ، ويذكر الحميرى أنه كانت تعلوها فى العصور القديمة قنطرة تصل بينها وبين الأندلس «كانت تمر عليها القوافل والعساكر من ساحل طنجة إلى ساحل الأندلس ، فلما كان قبل الفتح الإسلامى ، طغى ماء البحر وزاد وخرج من البحر المحيط الى بحر الزقاق ، وأغرق هذه القنطرة ، وكان طولها اثنى عشر ميلاً ..» (الحميرى ، الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، طبعة لبنان ، ١٩٨٤ ، ص ٣٩٦) . وكانت طنجة تخضع فى العصر السابق للفتح الاسلامى للمغرب لحكم يليان (ابن خلدون ، العبر ، المجلد الرابع ، القسم الأول (٧) ، ص ٣٩٩) فلما افتتحها موسى بن نصير ولى عليها طارق بن زياد وأصبحت معبراً مغربياً الى الأندلس فى العصر الإسلامى ، ثم خضعت

للأدارسة العلويين بفاس ، وجعلوا منها ومن سبتة قاعدتين بحريتين لأعمال القرصنة إلى أن تمكن المرابطون من القضاء على أسرة سكوت البرغواطي الحاكمة لهذه المنطقة (خواكين ڤالڤي بيرميخو ، سكوت البرغواطي ملك سبتة ، ترجمة عبد اللطيف الخطيب ، مجلة تطوان ، الرباط ١٩٧١ ، العدد الحادي عشر ، ص ٩٤ وما يليها ، أحمد مختار العبادي ، تحقيق ابن الخطيب لكتاب أعمال الأعلام ص ٢٠٣ ومايليها) .

٣٣ - ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٨٤ ، عبد العزيز بنعبد الله ، سلا أولى حاضرتي أبي رقراق . ص ٩ .

٣٤ - الحسن بن الوزان ، وصف أفريقيا ، ص ٢٠٣ ، أحمد مختار العبادى فى تحقيقه لأعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٨١ ، حاشية ١ ،ويعتبر القلقشندى مدينة سلا نفس مدينة تامسنا فيقول «ومنها سلا بفتح السين وفى آخرها ألف ، وهى مدينة من الغرب الأقصى فى آخر الإقليم الثالث ... وهى مدينة قديمة فى غربيها البحر المحيط ، وفى جنوبيها نهر يصب فى البحر المحيط ، والبساتين والكروم . وبنى عبد المؤمن أمامها من الشط الجنوبى على النهر والبحر المحيط قصراً عظيماً ، وبنى خاصته حوله المنازل فصارت مدينة عظيمة سماها المهدية ، وسلا متوسطة بين بلاد المغرب الأقصى ، قريبة من الأندلس ، وهى مدينة كثيرة الرخاء ، ولها معاملة كبيرة ، يقال لها تامسنا ، كثيرة الزرع والمرعي» (القلقشندى ، صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، طبعة تراثنا ، جـ ٥ ، ص ١٦٩) .

٣٥ - الحسن بن الوزان ، وصف أفريقيا ، ص ١٩٩ .

٣٦ - المصدر السابق ، ص ١٩٩ .

٣٧ - الحسن بن الوزان ، ص ٢٠٥ .

٣٨ - نفسه ، ص ١٩٦ .

٣٩ - نفسه ، ص ٢٠٤ .

٤٠ - ويذكر ابن خلدون ان مواطن برغواطة فى تامسنا من سلا وآزمور وآنفى

وآسفى (ابن خلدون ، العبر ، القسم الأول ، المجلد السادس ، ص ٤٢٨) .

٤١ - الحسن بن الوزان ، وصف أفريقيا ص ١٥٧ .

٤٢ - أحمد مختار العبادى ؛ فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٤٩٣ ، ويعتبر الحسن بن الوزان دكالة من اقاليم فاس (الحسن بن الوزان ، وصف أفريقيا ص ١٥٧) وبلاد الحوز هى الأراضى الخصبة التى تحدها دكالة وعبدة والأطلس ووادى أم الربيع . ومن أهم أنهارها نهر تانسيفت ، ومن أهم مدنها أغمات ، ونفيس ، وتعتبر أسفى من عمل دكالة وأصبحت بعد إنشاء مراكش فرضة لها ، واشتهرت بوفرة كرومها (القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٥ . ص ١٦٨) .

٤٣ - الحسن بن الوزان ، وصف أفريقيا .

٤٤ - البكرى ، المصدر السابق ، ص ٨٧ .

٤٥ - راجع كلا من البكرى (المغرب فى ذكر أفريقيا والمغرب ، ص ١٣٤ وما يليها) الذى يصف برغواطة بأنها مملكة وممالك ، وكذلك ابن الخطيب (فى أعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٨٠) الذى يصف حكام برغواطة بأنهم ملوك (أنظر أيضاً الناصرى ، الإستقصا ، ص ١٧ - مفاخر البربر ، ص ٤٧ - ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٢٢١) وتجمع معظم المراجع العربية الحديثة على أن دولة برغواطة مملكة ، وأن حكامها ملوك (ارجع الى أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٤٩٦ ، ومحمد ولد داداه ، مفهوم الملك فى المغرب ، ص ٧٣ - ٧٤ *M. Talbi, The independence of Maghrib, p. 250 - Terrasse, Histoire du Maroc, p. 129)* .

N . slouch, L'Empire des Berghouata et les origines des Blades Siba, Revue du Monde musulman, t. x, no3, 1910.

٤٧ - محمود اسماعيل ، حقيقة المسألة البرغواطية ، ص ٢١ ، ٢٢ .

٤٨ - الحسن بن الوزان ، وصف افريقيا ، ص ١٩٩ ، ٣٦٨ . ويصف تيراس الطبيعـة الجغرافية لبرغواطة بأنها كـانت تجمع بين السهول والهضاب والجبال ، فقلب برغوطـة كـان يتألف من هضبة داخلية هى الشاوية الحالية ، وتقع ما بين مراكش وبر رشيد وستات وجيسر وواد زم . *(Terrasse, Histoire du Marco, p. 129)*

٤٩ - البكرى ، المغرب ، ص ١٤١ - ميلود عشاق ، ملاحظات ، ص ٢ .

٥٠ - الحسن بن الوزان ، وصف افريقيا ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٥ ، وارجع كذلك الى القلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ ٥ ، ص ١٦٩ ، محمود اسماعيل ، حقيقة المسألة البرغواطية ، ص ٢١ .

٥١ - الحسن بن الوزان ، وصف افريقيا ، ص ١٩٩ .

٥٢ - المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

٥٣ - نفسه ، ص ٢٠٥ .

٥٤ - نفسه ، ص ١٩٨ .

٥٥ - نفسه ، ص ١٩٦ .

٥٦ - نفسه ، ص ٧٢ ـ عبد العزيز بنعبد الله ، سلا أولى حاضرتى أبى رقراق ، ص ٩ ، ٢٥ .

٥٧ - الحسن بن الوزان ، وصف أفريقيا ، ص ١٩٩ ، حيث يذكر أن أدندون اختصت بالعديد من هذه المناجم .

٥٨ - المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .

٥٩ - *J. Devisse, Trade and trade routes in west Africa, General history of africa, III, Unesco, 1988, p. 410* . يرجع د. رجب عبد الحليم سبب رواج تجارة برغواطة مع الأندلس لعاملين : الأول هو قيام علاقات مودة وصداقة ربطت بين حكام الدولتين ، والثانى هو وفرة الموانى الصالحة لرسو السفن والتى كانت تقع على ساحل تامسنا الطويل الذى

يبدأ في الشمال من سلا وينتهي في الجنوب الى مدينة آسفي . (د. رجب عبد الحليم ، دولة بني صالح في تامسنا ، ص ١٢٠) أما أشهر موانى تامسنا فقد حددها د. رجب عبد الحليم بأنها ميناء سلا الذى كان أهله على ثراء عظيم بسبب اشتغالهم بالتجارة مع أهل الأندلس ، وميناء فضالة الذى يقع إلى الجنوب من ميناء سلا ، وكانت ترد إليه السفن الأندلسية وغيرها من سفن البلاد الأوربية ، ثم ميناء آنفا وبعده مرسى مازيغن (أمازيغان) الذى يبعد عنه بخمسة وستين ميلا ، ثم مرسى الغيط الذى يبعد عن مازيغن بثمانين ميلاً . أما ميناء آزمور فهو يقع بين كل من مرسى الغيط ومرسى مازيغن (ارجع الى د. رجب محمد عبد الحليم ، المرجع السابق ، ص ١٢٠ - ١٢٢) .

٦٠ - أبو القاسم بن حوقل النصيبي ، صورة الأرض ، طبعة بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ص ٨٣ .

٦١ - المصدر السابق ، ص ٨٣ .

٦٢ - ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، طبعة ١٩٦٨ ، ص ٢١٠ ، ٤٦١ .

٦٣ - البكرى ، المغرب ، ص ١٤١ .

٦٤ - المصدر السابق ، ص ١٤١ ، وارجع كذلك الى ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٢ .

٦٥ - ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٤٣٥ .

٦٦ - حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٣٤ .

٦٧ - *Terrasse, Histoire du Maroc, p. 22*

٦٨ - الرقيق القيرواني ، تاريخ افريقيا والمغرب ، تحقيق وتقديم المنجى الكعبي ، تونس ١٩٦٨ ، ص ١٠٧ وما يليها ـ ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥١ ـ ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٨٥ ـ ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٥ ـ ابن تغرى بردى «جمال الدين أبو المحاسن يوسف» النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبعة تراثنا ،

القاهرة ، ١٩٦٣ ، جـ ١ ، ص ٢٧٣ ـ حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ١٦٢ وما يليها ـ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب الاسلامى ، ص ٢١٢ ـ سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربى ، ص ٢٤٨ وما يليها ـ حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٦٦ ، ٧٠ .

Terrasse, Histoire du Moroc, p. 108 - Talbi, The independence p. 249 - 250 .

٦٩ - ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٥١ ـ ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٨٥ .

٧٠ - صاحب هذا الرأى هو د. حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٦٦ ، ٦٧ .

٧١ - لا نستطيع أن نحدد على وجه الدقة متى بدأت طلائع الخوارج فى التسلل إلى المغرب ونشر الدعوة الخارجية فيه ، بسبب اختلاف النصوص الواردة فى المصادر العربية ، كما أن فرق الخوارج لم تنتشر كلها فى بلاد المغرب ، وإنما ظهرت منها فرقتان فقط على المسرح السياسى لأحداث المغرب الاسلامى ، هما فرقتا الاباضية والصفرية . (لمزيد من التفاصيل عن انتشار الخارجية فى المغرب ارجع الى محمود اسماعيل ، الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى ، الدار البيضاء ، ١٩٧٦ ص ٤٣ وما يليها ، جودت عبد الكريم يوسف ، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، الجزائر ، ١٩٨٤ ، ص ٢٥ ـ سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربى ، ص ٢٥٣ وما يليها .ولمزيد من التفاصيل عن الحركة الاباضية فى المشرق الاسلامى وأهم أئمتها فى البصرة وعمان أمثال جابر بن زيد ، وأبى عبيدة بن أبى كريمة التميمى البصرى ، والربيع بن حبيب الأزدى العمانى البصرى ، وأبو المنذر بشير بن المنذر النزوانى ، وموسى ابن أبى جابر الأزكوى ، وعبد الله بن اباض ، وصلة هؤلاء بحضرموت واليمن وشمال أفريقيا ، وأهم أتباعهم هناك ، ارجع الى سالم بن حمود بن شامس السمائلى ، ازالة الوعثاء عن اتباع ابى الشعثاء ، تحقيق د. سيدة كاشف .

القاهرة ١٩٧٩ ، سالم بن حمد بن سليمان الحارثى ، العقود الفضية فى أصول الأباضية ، عمان ١٩٨٣) .

٧٢ - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب الاسلامى ، ص ٢١٥ .

٧٣ - حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ١٦٤ - محمود اسماعيل ، الخوارج فى بلاد المغرب ، ص ٦٢ .

٧٤ - ميسرة : تجمع المصادر على أنه ينتسب إلى قبيلة مطغرة البربرية البترية (ابن القوطية «ابو بكر محمد» ، تاريخ افتتاح الأندلس ، نشره خليان ريبيرا ، مدريد ، ١٩٢٦ ، ص ١٤ ، الرقيق ، تاريخ افريقيا والمغرب ، ص ١٠٩ ، البكرى ، ص ١٣٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٩١ - ١٩٣ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٥٢ ، ابن خلدون العبر ، القسم الأول ، المجلد السادس ، ص ٤٢٨ ، مفاخر البربر ص ٤٧ ، حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ١٦٤ ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الاسلامى ، ص ٢١٨ ، سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربى ، ص ٢٥٥ ، ناطق صالح مطلوب ، تاريخ المغرب العربى ، الموصل ، ١٩٨٨ ص ١٥٥ وما يليها) . ويرى د . محمود اسماعيل أن أصل ميسرة يكتنفه الغموض لاختلاف المصادر فى ذلك ، ويستند فى ذلك الى نص أورده ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ذكر فيه أن ميسرة عربى أزدى (محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٦٣ ، حاشية ١) الا أنه برجوعنا الى ابن تغرى بردى تبيّن لنا أنه لم يشر إلى انتساب ميسرة إلى الأزد ، وكل ما ذكره ابن تغرى بردى عنه لا يعدو أنه كان يلقب «بالحقير» (ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ١٩٦٣ ، جـ ١ ص ٢٨٧) ويصفه فى موضع آخر بأنه ميسرة الصفرى (النجوم الزاهرة ، جـ ١ ، ص ٢٩٤) ويبدو أن د. محمود اسماعيل قد التبس عليه الاسم الذى اورده ابن تغرى بردى فى النجوم (جـ ١ ، ص ٢٨٩) وهو ابو يوسف الازدى فى سياق حديثه عن مواجهة كلثوم بن عياض القشيرى لثوار البربر فى بقدوره ، وظن أنه لميسرة ربما لأن ابن تغرى بردى وصف أبا يوسف هذا بأنه رأس الصفرية . ويتمثل ذلك فى قول ابن تغرى بردى فى أحداث سنة ١٢٣ هـ

(وفيها كانت وقعة عظيمة بين البربر وبين كلثوم بن عياض ، فقتل كلثوم في المصاف واستبيح عسكره ، كسرهم ابو يوسف الأزدى رأس الصفرية) . ومن الثابت تاريخياً أن ميسرة لم يقاتل كلثوم بن عياض إذ كان قومه قد قتلوه عندما أعرض عن محاربة العرب فى موقعة الأشراف وولوا على أنفسهم قائداً مقداماً هو خالد بن حميد الزناتى الذى التقى بخالد بن حبيب الفهرى فى موقعة الأشراف ، سنة ١٢٢ هـ ، فانهزم العرب وقتل خالد بن حبيب . أما كلثوم بن عياض فقد سيره هشام بن الملك من دمشق ليواجه البربر ويثأر لشهداء وقعة الأشراف . وكان خالد بن حميد الزناتى على رأس هؤلاء الثوار بعد مقتل ميسرة . وفى ذلك يقول ابن عذارى صراحة «ولما قدم كلثوم على وادى سبو وهو فى ثلاثين ألفاً قال ابن القطان : فيهم عشرة آلاف من صلب بنى أمية ، وعشرون ألفاً من سائر العرب . فتوجه إليهم خالد بن حميد الزناتى الذى تولى الأمر بعد ميسرة ...» (ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٥٥ وانظر أيضاً ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٩٢) . ويتضح مما سبق ذكره أن معظم المصادر الثقة تؤكد أن وفاة ميسرة حدثت قبل اشتباك العرب والبربر فى موقعة الأشراف وبالتالى قبل موقعة بقدورة ، باستثناء الرواية التى أوردها ابن تغرى بردى الذى يجعل ميسرة بطل موقعة بقدورة التى يؤرخها فى ص ٢٨٩ من كتابه بسنة ١٢٣ هـ ، وفى ص ٢٩٤ بسنة ١٢٤ هـ . ونحن لا نأخذ برأى ابن تغرى بردى لأمرين : الأول لأنه مؤرخ مشرقى لا يعول عليه فى دقة الرواية وصدقها ، والثانى لأنه متأخر زمنياً عن فترة الأحداث .

٧٥ - البكرى ، المغرب ، ص ١٣٥ . ومما يؤكد ذلك بعض أبيات أوردها البكرى ونقلتها عنه العديد من المصادر المتأخرة عنه ، كتبها سعيد بن هشام المصمودى ، فى إحدى مواقع برغوطة ، وهى موقعة بهت ، يذكر فيها ما يؤكد أن طريف كان من أصحاب ميسرة ، ومنها :

سيعلم قوم تامسنى إذا ما — أتوا يوم النشور مهيمنيناً
هنالك يونس وبنو بنيه — يقودون البرابر مهطعينا
اذا وريا ورى زمت عليه — جهنم قايد المستكبرينا
فليس اليوم ردتكم ولكن — ليالى كنتم متميسرينا

(البكرى ، المغرب ، ص ١٣٨ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٠)
ويذكر ابن الخطيب أن ميسرة ولى صالح بن طريف أميراً على المغرب ، ثم عزله وكتب كتاباً إلى أهل تامسنا وقومه من زناتة البربر يوصيهم به ويصف فضله وعلمه (ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٨١) .

٧٦ - الرقيق القيروانى ، تاريخ أفريقيا ، ص ١١٠ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٥٢ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب الإسلامى ، ص ٢١٩ ، حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ١٦٦ .

٧٧ - الرقيق القيروانى ، تاريخ أفريقيا ، ص ١١٠ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٥٣ .

٧٨ - البكرى ، المغرب ، ص ١٣٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٨١ .

٧٩ - حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ١٤٩ ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الإسلامى ، ص ٢١٦ .

٨٠ - هذا الرأى المدافع عن عقيدة برغواطة ، هو رأى د. محمود إسماعيل فى بحثه الموسوم بحقيقة المسألة البرغواطية ، ص ٢٧ .

٨١ - محمود إسماعيل ، الخوارج فى بلاد المغرب ، ص ٤٨ حاشية رقم ١٦١ . وفيها يذكر أن طريف بن شمعون كان من قواد ميسرة وأنه اختلف فى نسبه إذا ما كان مصمودياً أو يهودياً أو يمنياً . وفى بحثه ، حقيقة المسألة البرغواطية ، ص ٢٤ ، يذكر أن طريف حليف ميسرة هو نفس طريف صاحب الحملة الإستطلاعية الى الأندلس سنة ٩١ هـ .

٨٢ - سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربى ، ص ٢٥٤ ، ويذكر د. سعد زغلول أن طريف بن ملوك الذى قاد أول سرية إسلامية الى الجزيرة الخضراء سنة ٩١ هـ . والذى سميت جزيرة طريف بإسمه ، كان مع الخوارج فى ثورة ميسرة .

٨٣ - يذكر د. حسين مؤنس فى كتابه فجر الأندلس ، ص ٦٦ أن طريف الذى

عبر بسرية صغيرة الى الأندلس ، هو أبو زرعة طريف بن ملوك ، ويرجح الرأى القائل بأنه عربى ، وأن جزيرة لاس بالوماس ستحمل إسمه . وفى حاشية رقم (٤) من نفس الصفحة يذكر أن طريف هذا سيلعب دوراً هاماً فى الثورة التى قام بها ميسرة . ومن الجدير بالملاحظة أن د. مؤنس ينسب ميسرة إلى برغواطة ، ولكنه فى ص ١٦٥ من نفس الكتاب يذكر أن برغواطة أعلنت الخروج ، وكان يقودها داعية خارجى هو طريف بن شمعون بن يعقوب وولده صالح .

٨٤ - ارجع الى رأى دكتور أحمد مختار العبادى فى تحقيقه لتاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط ، نصان جديدان ، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٨١ ، ص ٤٥ ، حاشية ٣ . وكتابه الموسوم بـ «فى تاريخ المغرب والأندلس» ص ٢٦٥ ، ٤٨٨ . فهو يذكر أن طريف صاحب الحملة الإستطلاعية كان يدعى طريف بن مالك أو ملوك وأنه كان عربياً يمنياً ، وان كان ابن عذارى يجعله بربرياً ، ثم يذكر أن طريف سيظهر اسمه بعد ذلك على مسرح الحوادث المغربية على عهد الخليفة هشام بن عبد الملك بدمشق ، وأن ابنه صالح انضم إلى الثورة الخارجية التى قام بها ميسرة .

٨٥ - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، الإسكندرية ، ١٩٨٢ ص ٧٠ ، وهو يستند فيما ذكره على نص الرازى والحميرى وابن خلدون الذين ينسبون طريف صاحب الحملة الاستطلاعية إلى الأندلس الى معافر أو النخع اليمنيتين ، وهذا يعنى أنه عربى الأصل . ويستبعد أن يكون موسى بن نصير قد سير الطليعة الكشفية الأولى تحت قيادة رجل غير عربى .

٨٦ - محمد عبد الحميد عيسى ، فتح الأندلس ، رواية متجددة ، مجلة أوراق ١٩٨٢ - ١٩٨٣ ص ٨٠ . ولم يذكر د. محمد عيسى فى هذا الأمر سوى أن طريف كان يكنى بأبى زرعة وكان من موالى موسى بن نصير (وأنظر أيضاً كتابه ، الفتح الإسلامى للأندلس ، ١٩٨٥ ، ص ١٧) أما

د. عبد الرحمن الحجى فيرى أن طريف صاحب السرية كان بربرياً ، ولكنه أورد اسمه على أن طريف بن مالك الملقب بأبى زرعة (عبد الرحمن الحجى ، التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة ، بيروت ، الكويت ، ١٩٧٦ ، ص ٤٥) .

٨٧ – محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٩٣ .

٨٨ – حمدى عبد المنعم حسين ، دولة على بن يوسف المرابطى فى المغرب والأندلس ، رسالة ماجستير نوقشت فى كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، ص ٧ .

* يرى د. رجب عبد الحليم رأياً مخالفاً لرأيى فقد أفرد صفحات عديدة من بحثه لإثبات أن طريف مؤسس دولة برغواطة هو نفسه صاحب الحملة الإستطلاعية على الأندلس وأنه كان بربرى الأصل واستند فى رأيه على ابن حوقل (انظر المرجع السابق ص ٢٩ – ٣٦) وسنعرض فى الصفحات القادمة من البحث ما يشير الى رأينا ويدعمه من خلال النصوص والأدلة العلمية والمنطقية .

٨٩ – السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٧٠

٩٠ – المقرى ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، جـ ١ ، ص ٢٣٧ .

٩١ – مجهول ، أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها ـ رحمهم الله ـ والحروب الواقعة بها بينها ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٨١ ، ص ١٦ .

٩٢ – ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص ٤٥ .

٩٣ – الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٣٥ ، وارجع كذلك ، الى ص ٣٩٢ .

٩٤ – ابن خلدون ، العبر ، جـ ٤ ، طبعة ١٩٦٨ ، ص ٢٥٤ .

٩٥ – المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٤٢٨ .

٩٦ – السلاوى الناصرى ، الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٦ .

٩٧ – البكرى ، المغرب ، ص ١٣٥ .

٩٨ – المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

٩٩ – ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ٥ .

١٠٠ – المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥٦

١٠١ – نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٢٣ .

١٠٢ – محمود اسماعيل ، حقيقة المسألة البرغواطية ، ص ٢٥ .

١٠٣ – ابن خلدون ، العبر ، جـ٦ ، ص٤٢٨ . وعن نسبة طريف صاحب الحملة الإستطلاعية للنخع ، أرجع إلى ابن خلدون ، العبر ، جـ٤ ، ص٢٥٤ .

١٠٤ – المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٤٣٥ .

١٠٥ – البكرى ، المغرب ، ص ١٤١ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٢.

١٠٦ – ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ٤٣٧ .

١٠٧ – البكرى ، المغرب ، ص ١٣٥ ، ١٣٧ .

* للدكتور رجب عبد الحليم رأى مناقض ، ارجع الى المرجع السابق ص ٣٤ ، من أدلة د. رجب عبد الحليم على أن برغواطة شاركت فى فتح الأندلس ما ذكره البكرى من أن اسم برغواطة هو نسبة الى وادى برباط الذى جرت عنده معركة طارق بن زياد الفاصلة وكذلك قوله بأن يونس بن الياس أصله من شذونة من وادى بربط ثم رحل إلى المشرق إضافة الى ما ذكره ابن خلدون (ارجع الى المرجع السابق ، ص ٣٨ ، ٣٩) ونحن بدورنا نعتقد أن هذا لا ينهض دليلاً على مشاركة برغواطة فى فتح الأندلس ، إذ كيف يتسنى لقوم شاركوا فى فتح الأندلس أن ينسبوا دون غيرهم إلى وادى برباط ؟؟ ولماذا استثنوا هم دون باقى القبائل التى شاركت فى الفتح الإسلامى للأندلس ، فحملوا اسـم هذا الوادى «برباط» ثم تحرف بعـد ذلك الى برغواطـة ؟ وفى تصورى أن الأرجح والأقرب إلى المنطق أن يكون هذا

الإسم «برغواطة» محرفاً من «برباط» نتيجة لانحدار مؤسس هذه الأسرة من منطقة برباط وليس لمشاركة قبائل منطقة تامسنا فى موقعة وادى برباط (ارجع إلى المتن) .

١٠٨ - ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب روض القرطاس ، فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، أوبسالة ، ١٨٤٣ ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

١٠٩ - نبذ من مفاخر البربر ، ص ٤٧ .

١١٠ - السلاوى الناصرى ، الاستقصا ، ص ١٥ .

١١١ - ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٨١ .

١١٢ - ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٨٢ ـ ويستند د. رجب عبد الحليم على رأى كل من ابن حوقل وابن خلدون لإثبات أن طريف بن مالك يرجع إلى الأصل البربرى (المرجع السابق ، ص ٣٢ ، ٣٣) .

١١٣ - ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٥ .

١١٤ - ميلود عشاق ، ملاحظات حول المسألة البرغواطية ، ص ٦ .

١١٥ - ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٥ .

١١٦ - المصدر السابق ، ص ٢٤ .

١١٧ - نفسه ، ص ٦٩ .

١١٨ - نفسه ، ص ٧ .

١١٩ - ابن خلدون ، العبر ، جـ ٤ ، ص ٢٤ ، ٢٥ ، وارجع كذلك إلى :

N. Slouch, L'Empire des Berghouata, p. 395.

١٢٠ - *Fasi. The islamization of north Afirica, p. 66.*

١٢١ - محمود اسماعيل ، الخوارج فى بلاد المغرب ، ص ٢٨٦ .

١٢٢ - *N. Slouch, op. cit., p. 395 .*

١٢٣ - ابن الخطيب ، اعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٨١ .

١٢٤ - ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٥ ـ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام جـ ٣ ، ص ١٨٢ .

١٢٥ - ويعرض ميلود عشاق بالإضافة الى هذا الرأى مجموعة أخرى من الآراء فيذكر أنه ربما كان إسم برغواطة جمع لإحدى اللفظتين البربريتين *Bourget, Bergouten* وكل منهما يعنى التحريض والتهييج والإستفزاز والتمرد ، وربما يكون أهل تامسنا قد وسموا أنفسهم بهذا الإسم إعتزازاً وافتخاراً ، كما يمكن أن يكون كذلك من وضع الأعداء والخصوم ازدراء وتنقيصاً . كما عرض ميلود عشاق لرأى امهارك رجالة ، الذى قسم الكلمة الى مقطعين *Bar* و *Gwat* وهى تعنى ابن الوادى او ساكن الوادى (ميلود عشاق ، ملاحظات حول المسألة البرغواطية ، ص ٦) .

١٢٦ - أشونة من كور استجة بجنوب الأندلس ، وكان لأشونة حصن كبير ، وكانت عامرة كثيرة المساكن (الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٦٠) واستجة تقع بين القبلة والمغرب من قرطبة (الحميرى ، ص ٥٣) .

١٢٧ - ابن حزم الأندلسى «ابو محمد على بن أحمد» جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مصر ، ١٩٧١ ، ص ٥٠١ ، مفاخر البربر ، ص ٨٠ .

١٢٨ - البكرى ، المغرب ، ص ١٣٥ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٠ وارجع كذلك إلى ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٥٧ .

* يذكر د. رجب محمد عبد الحليم أن طريف استمر فى المشاركة فى الحروب التى خاضها الصفرية عقب مقتل ميسرة المطغرى سنة ١٢٢ هـ ، ويؤكد أنه شارك فى موقعتى الأشراف وبقدورة حتى هزيمة البربر على أيدى العرب فى موقعة القرن عام ١٢٤ هـ والأصنام سنة ١٢٥ هـ . (ارجع إلى رجب عبد الحليم ، دولة بنى صالح ، ص ٤٤ ، ٤٥) وهو يستند فى رأيه هذا على نص لابن عذارى أورده فى البيان المغرب (ج ١ ، ص ٥٦) يذكر فيه ابن عذارى أن طريفاً كان من جملة قواد العسكر الذين بلغ عددهم ثلاثمائة ألف مقاتل حسب تقديره والذين اتجهوا إلى القيروان

للقضاء على سلطة بنى أمية . ويؤكد د. رجب أن بداية ظهور دولة برغواطة أو دولة «بنى صالح فى تامسنا» على حد تعبيره كان فى عام ١٢٥ هـ مستنداً على اشارة لابن عذارى فى أخبار عام ١٢٤ هـ بابتداء ظهور دولة برغواطة .

ونحن لا نميل إلى الأخذ بهذا الرأى إذ أن نفس ابن عذارى الذى استند عليه د. رجب فى اثبات رأيه يعود ليذكر فى موضع آخر من كتابه البيان جـ ١ ، ص ٢٢٤ أن طريفاً انسحب الى تامسنا عقب مقتل ميسرة الذى حدث عام ١٢٢ هـ قبيل موقعة الأشراف ، وهو فى ذلك يقول «وكان طريف من أصحاب ميسرة ملك المغرب الذى تقدم فى ذكره ، فلما قتل ميسرة وافترق أصحابه ، احتل طريف ببلاد تامسنا فقدمه البربر على أنفسهم ...» . ومن المؤكد أن ابن عذارى قد نقل هذا الخبر الأخير عن البكرى الذى أورده فى كتابه ، ص ١٣٥ . أما الخبر الأول الذى يأخذ به د. رجب عبد الحليم فيبدو مضطرباً ، إذ لم يرد فى أى من المصادر الأخرى ، وقد ناقشنا فى صفحات بحثنا بعض مظاهر الاضطراب والتناقض فى روايات ابن عذارى فيما يتعلق بدولة برغواطة ، أما كون ابن عذارى قد حدد بداية ظهور دولة برغواطة بعام ١٢٤ هـ ، فهذا لا يعنى أبداً أن طريف خرج فى ذلك العام على وجه التحديد عن رفاقه البربر إلى تامسنا ، ولكن ربما يكون المقصود بخبر ابن عذارى هذا ، هو بداية ظهور عقائد هذه الدولة الغريبة فى عام ١٢٤ وسوف نثبت فى البحث أن ديانة هذه الدولة وعقائدها الهرطقية لم تظهر فى سنوات مؤسسها طريف ، وربما ظهرت فى عهد ولده صالح .

١٢٩ – ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٨١ .

١٣٠ – البكرى ، ص ١٣٥ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٢٢٤ .

١٣١ – ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٢٨ .

١٣٢ – ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٢٢٤ ، مجد د. رجب عبد الحليم ، طريف مؤسس دولة برغواطة ، وعظم من شأنه ووصفه «بأنه لم يأت بما

يعاب عليه وظل وفياً لمذهبه ولبنى وطنه ، محافظاً على تاريخه ودوره فى فتح الأندلس حتى توفى عام ١٣١ هـ» ، مؤكداً بذلك على أنه هو نفسه طريف بن مالك النخعى ، وهذا ما أثبتنا عدم صحته (ارجع الى المرجع السابق ص ٤٨) ثم يستطرد فى تفخيمه وتعظيمه لشخص طريف بأن عقد مقارنة بينه وبين طارق بن زياد منتهياً إلى أن طريف استمرت عظمته عندما أسس دولة استمر وجودها قروناً من الزمان بينما لف النسيان طارقاً وفى اعتقادى أنه لا وجه للمقارنة على الإطلاق بين القائد العظيم الفاتح طارق بن زياد وبين طريف بن شمعون الخارجى ذى الأصول اليهودية الذى أسس دولة خارجة عن تعاليم الإسلام ، عملت على نشر هرطقتها بحد السيف .

١٣٣ - ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٨٣ .

١٣٤ - المصدر السابق ، ص ١٨٢ .

١٣٥ - ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ٨٣ .

١٣٦ - ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٢٩ ، وقد أخطأ ابن خلدون بقوله أن عام ١٢٧ هـ كان يزامن خلافة هشام بن عبد الملك ، الذى توفى سنة ١٢٥ هـ .

١٣٧ - نبذ من مفاخر البربر ، ص ٤٧ .

١٣٨ - ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٠ .

١٣٩ - البكرى ، المغرب ، ص ١٣٥ .

١٤٠ - ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٨١ .

١٤١ - ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٨٣ .

١٤٢ - نبذ من مفاخر البربر ، ص ٤٧ .

١٤٣ - البكرى ، المغرب ، ص ١٣٥ . وفى ذلك يقول البكرى «فاخبر زمور أن طريفاً أبا ملوكهم من ولد شمعون بن يعقوب بن اسحق ، وأنه كان من

أصحاب ميسرة المطغرى المعروف بالحقير ومغرور بن طالوت ، والى طريف نسبت جزيرة طريف ، فلما قتل ميسرة وافترق أصحابه ، احتل طريف ببلد تامسنى ، وكان إذ ذاك ملكاً لزناته وزواغة ، فقدمه البربر على أنفسهم ، وولى أمرهم ، وكان على ديانة الإسلام .....» .

١٤٤ – ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٠ .

١٤٥ – مجهول ، نبذ من مفاخر البربر ، ص ٨٠ .

١٤٦ – البكرى ، المغرب ، ص ١٣٥ .

١٤٧ – ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٥٧ ، ٢٢٤ .

١٤٨ – ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٠ .

١٤٩ – ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٨٤ .

١٥٠ – ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٨٢ .

١٥١ – البكرى ، المغرب ، ص ١٣٧ .

١٥٢ – محمود اسماعيل ، حقيقة المسألة البرغواطية ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

١٥٣ – ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٢٢٥ .

١٥٤ – ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٠ .

١٥٥ – ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٨٢ ـ محمود اسماعيل ، حقيقة المسألة البرغواطية ص ٢٥ .

١٥٦ – البكرى ، المغرب ، ص ١٣٥ – ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٥٧ – ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٢٨ ـ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٨١ .

١٥٧ – ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ٨٣ .

١٥٨ – ابن الخطيب ، أعمال الأعمال ، ج ٣ ص ١٨٢ .

١٥٩ – المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

١٦٠ - البكـري ، المغرب ، ص ١٣٦ ، ابن عـذاري ، البيـان ، جـ ١ ، ص ٢٢٤ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٠ .

١٦١ - ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٨٤ .

١٦٢ - ابن عذاري ، البيان ، جـ ١ ، ص ٥٧ .

١٦٣ - البكري ، المغرب ، ص ١٣٧ ، ابن عذاري ، البيـان ، جـ ١ ، ص ٢٢٥ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٠ .

١٦٤ - البكري ، المغرب ، ص ١٣٧ .

١٦٥ - ابن عذاري ، البيان ، جـ ١ ، ص ٢٢٤ .

١٦٦ - البكري ، المغرب ، ص ١٣٧ ، ابن عذاري ، البيان ، جـ ١ ، ص ٢٢٥

١٦٧ - ويذكر ناحوم سلوتش أن يونس رحل الى الأندلس ولاذ بها فراراً من حالة الفوضى التى ضربت أطنابها فى أنحاء المغرب بعد ظهور الأدارسة (ارجع إلى *Slouch, op. cit., p. 395*.)

١٦٨ - البكري ، المغرب ، ص ١٣٨ .

١٦٩ - المصدر السابق ، ص ١٣٨ .

١٧٠ - نفسه ، ص ١٣٦ ـ ابن عذاري ، البيان ، جـ ١ ، ص ٢٢٤ . وارجع الى ابن خلدون ، العبر جـ ٦ ، ص ٤٣٠ ـ ابن الخطيب ، اعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٨٤ .

١٧١ - ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

١٧٢ - ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ٧ ـ ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ٢٤ ـ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى ، ص ٣٨٣ .

١٧٣ - ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ص ٢٤ .

١٧٤ - ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ٧ .

١٧٥ - المصدر السابق ، ص ٩ .

١٧٦ - البكرى ، المغرب ، ص ١٢٢ .

١٧٧ - المصدر السابق ، ص ١٣٦ ـ ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٢٢٤ ـ ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٠ .

١٧٨ - ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٨٦ .

١٧٩ - المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

١٨٠ - البكرى ، المغرب ، ص ١٣٦ .

١٨١ - ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ ـ وراجع أيضاً البكرى ، ص ١٣٨ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣١ .

١٨٢ - ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٨٦ .

١٨٣ - ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣١ .

* البكرى ، المغرب ، ص ١٣٧ ـ ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٢٢٥ ـ ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٢ ، ٤٣٣ .

١٨٤ - ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٢٢٥ ـ ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٢ .

١٨٥ - البكرى ، المغرب ، ص ١٣٤ ـ ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٢٢٣ .

١٨٦ - البكرى ، المغرب ، ص ١٣٧ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٢٢٥ ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ، ص ٤٣٢ .

١٨٧ - ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٣ .

١٨٨ - ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٢٢٥ .

١٨٩ - ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

١٩ - البكرى ، المغرب ، ص ١٢٤ ـ ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٢١١

ـ ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ٢٨ ـ ابن خلدون ، العبر ، جـ ٤ ، ص ٢٧ ، ٢٨ ـ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام جـ ٣ ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

١٩١ - لمزيد من التفاصيل انظر : السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٣٩٤ وما يليها . ومن الجدير بالذكر أن عمر بن ادريس هو جد بني حمود الذين تلقبوا بالخلافة في الأندلس في عصر الطوائف .

١٩٢ - ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ٥١ .

١٩٣ - البكري ، المغرب ، ص ١٣٤ ، ابن عذاري ، البيان ، جـ ١ ، ص ٢٢٣ وكان من نتاج هذه الموالاة إقبال سكان ربض قرطبة على سكنى آزمور البرغواطية (البكري ، المغرب ، ص ١٥٥ ، محمد أحمد عبد المولى ، القوى السنية في المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية ، الإسكندرية ، ١٩٨٥ ، جـ ٢ ، ص ٦٥٧) .

١٩٤ - المقري ، نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٣١٣ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٢٥٥ .

١٩٥ - ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ٢٥٤ .

١٩٦ - نفسه ، ص ٢٥٥ .

١٩٧ - نفسه ، ص ٤٣٢ .

١٩٨ - لمزيد من التفاصيل عن أبي قرة المغيلي أو اليفرني ودوره في الثورة على العرب سنة ١٤٨ هـ وتعاونه مع عبد الرحمن بن رستم ارجع الى ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

وانظر : رضوان البارودي ، بنو يفرن الزناتيون في بلاد المغرب والأندلس ، الاسكندرية ، ١٩٩١ ، ص ١٣ وما يليها .

١٩٩ - المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .

٢٠٠ - المقري ، نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٣١٣ .

٢٠١ - مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، مدريد ١٨٦٧ ، ص ٥٥

- ابن عذارى البيان ، جـ ٢ ، ص ٤٧ - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين واثارهم ، ص ١٧٨ - البيان ، جـ ٢ ، ص ٤٧ .

٢٠٢ - ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ١٨٠ .

٢٠٣ - لمزيد من التفاصيل ، ارجع الى المصدر السابق ، ص ٤٣٢ ، السلاوى ، الاستقصا جـ ٢ ، ص ١٨ *Terrasse, Histoire du Maroc, pp. 130, 131.*

أما البصرة فهى مدينة بالمغرب عرفت ببصرة الكتان لكثرة زراعتها له ، كما عرفت بالحمراء لاحمرار تربتها ، وكان لها سور مبنى من الحجارة والطوب ينفتح فيه عشرة أبواب ، كما كان لها حمامان ، ومقبرتها الكبرى فى شرقيها فى جبل ، أما الغربية فتعرف بمقبرة قضاعة . واشتهرت بجمال بناتها (البكرى ، المغرب ، ص ١١٠) .

٢٠٤ - ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٣ ، السلاوى الناصرى ، الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٨ . أما بنو زيرى فقد كانوا أوفياء للفاطميين موالين لهم فى بداية الأمر . ولكنهم بدأوا يشقون عصا الطاعة على الفاطميين فى عهد المعز بن باديس ، الأمير الرابع منهم ، ففى سنة ٤٤٠ هـ ثار المعز على الفاطميين ، وأعلن استقلاله عنهم ، وتم انفصال بنى زيرى عن الفاطميين فى مصر فى عهد المعز بن باديس سنة ٤٤٤ هـ ، وفى خلافة المستنصر بالله الفاطمى .

٢٠٥ - ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٣ .

٢٠٦ - المصدر السابق ، ص ٤٣٣ .

٢٠٧ - ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٦٩ .

٢٠٨ - المصدر السابق ، ص ٨٤ - ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٨٧ ، ٢٣٠ .

٢٠٩ - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب الاسلامى ، ص ٦٠٩ .

٢١٠ - لمزيد من التفاصيل ، ارجع الى المرجع السابق ، ص ٦١٠ وما يليها ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٣٤ وما يليها .

٢١١ - ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ٢٣٠ ، نبذ من مفاخر البربر ، ص ٥٢ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ٤ ، ص ١٦ ، الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية لمؤلف مجهول ، تحقيق د. سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، الدار البيضاء ، ١٩٧٩ ، ص ٢٣ ، الناصرى السلاوى ، الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٨ ، شارل اندرى چوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية ، جـ ٢ ، تعريب محمد مزالى ، البشير سلامة ، تونس ، ١٩٧٨ ص ١٠٧ ، *Hrbek and Devisse, The almoravides, General History of Africa, Unesco, 1988, p. 348 - Terrasse, Histoire du Maroc, p. 221*

٢١٢ - ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ٨٤ . وأنظر نص الوصية فى ابن الخطيب أعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ٢٣٠ . وقد اختلف المؤرخون فى تحديد سنة وفاة ابن ياسين ، وانقسموا إلى فريقين ، فريق يرى أنه توفى فى عام ٤٥١ هـ ومن هؤلاء البكرى (ارجع الى المغرب ، ص ١٦٨) وابن عذارى (البيان ، جـ ٤ ، ص ١٦) وابن الخطيب (أعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ٢٣٠) ، وفريق آخر يرى أنه توفى فى سنة ٤٥٠ هـ ، ومن هؤلاء صاحب الحلل الموشية (ص٢٣) وابن خلدون (العبر ، جـ ٦ ، ص ٣٧٦) . ولمزيد من التفاصيل ارجع الى حمدى عبد المنعم حسين ، دولة على بن يوسف ، ص ٧ .

٢١٣ - ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٨٤ .

٢١٤ - ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٣٤٤ .

٢١٥ - ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٣٤٤ .

٢١٦ - ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٣٤٤ .

٢١٧ - ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٥٠ ـ مفاخر البربر ، ص ٥٨ ـ

السلاوى الناصرى ، الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٣٠ ، ٣١ ـ ولمزيد من التفاصيل عن سكوت مولى الحموديين ، وعن الأسرة الحمودية التى هى فرع من الأدارسة أنظر خواكين ڤالڤى ، سكوت البرغواطى ملك سبته ، ترجمة عبد اللطيف الخطيب ، بحث بمجلة تطوان ، الرباط ، العدد ١١ ١٩٧١ ، ص ٩٤ – ٩٩ ، وارجع الى محمد بن تاويت ، تاريخ سبتة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٢ ، ص ٣٩ وما يليها .

* ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٥٠ ، عبد الواحد المراكشى ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص ٦٧ ، السلاوى الناصرى ، الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٣٠ ، ٣١ .

٢١٨ – نبذ من كتاب مفاخر البربر ، ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٥ ـ خواكين ڤالڤى ، سكوت ، ص ٩٨ .

٢١٩ – مفاخر البربر ، ص ٤٧ ، ٥٣ ، ٥٦ ـ السلاوى الناصرى ، ص ٣١ وارجع كذلك إلى ابن الأبار (أبو عبد الله محمد عبد الله) الحلة السيراء ، تحقيق د. حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣ ، جـ ٢ ، ص ٥١ حاشية ١ ، ولمزيد من التفاصيل عن سكوت ارجع الى رضوان البارودى ، التاريخ السياسى لمدينة سبتة منذ القرن الرابع الهجرى حتى منتصف القرن السابع الهجرى ، مقال صدر بالمجلة التاريخية المصرية ، المجلد السادس والثلاثون سنة ١٩٨٩ ، ص ٥٧ وما يليها .

٢٢٠ – ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٢٩ .

٢٢١ – البكرى ، المغرب ، ص ١٣٥ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٥٧ ، ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٨٣ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٢٩ . وقد اورد البكرى فى ص ١٤٠ آية من هذا الكتاب الذى وضعه صالح لأتباعه .

٢٢٢ – أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٤٩٠ .

٢٢٣ – البكرى ، المغرب ، ص ١٣٥ .

٢٢٤ - المصدر السابق ، ص ١٤٠ ـ ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٢٩ ـ ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٨٤ .

٢٢٥ - ارجع الى المصادر السابقة ، ميلود عشاق ، المرجع السابق ، ص ٦ .

٢٢٦ - البكرى ، المغرب ، ص ١٣٨ .

٢٢٧ - المصدر السابق ، ص ١٣٨ وما يليها ، ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٨٣ ، أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٤٩٠ وما يليها .

٢٢٨ - ميلود عشاق ، ملاحظات حول المسألة البرغواطية ، ص ٦ ، ويذكر الدكتور ابراهيم حركات أن كراهية أكل البيض لا تزال متأصلة فى بعض مناطق المصامدة حتى يومنا هذا (المرجع السابق ، ص ٦) . أما الديك فهو يذهب الذنوب عند يهود المشرق كله . ومازال اليهود يدفنون عظام هذا الحيوان فى المقبرة . *(N. Slouch, op. cit., p. 397)* وقد بقيت من هذا الإعتقاد عند عامة الناس فى مصر أفكار مشابهة فهم يذبحون على أعتاب البيوت نوعاً معيناً من الديكة لإزالة الشر الذى يصيب صاحب البيت .

٢٢٩ - ارجع الى المصادر السابقة .

٢٣٠ - ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٨٤ .

٢٣١ - يميل الدكتور الفاسى الى تشبيه الأدارسة الشيعة بالسنة ، ارجع إلى :

M. EL Fasi and I. Hrbek, The islamization of North Africa, p. 65

٢٣٢ - ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٢ .

٢٣٣ - البكرى ، المغرب ، ص ١٤٠ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ٤ ، ص ١٠ .

٢٣٤ - يعد د. أحمد مختار العبادى من أنصار هذا الرأى ، ارجع الى كتابه «فى تاريخ المغرب والأندلس» ، ص ٤٩٧ .

٢٣٥ - ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٥٠ .

٢٣٦ - لمزيد من التفاصيل عن الحركة العلمية فى عهد سكوت بسبتة ارجع

إلى خواكين ڤالڤى ، سكوت البرغوطى ، ص ١٠٣ .

٢٣٧ - نبذ من مفاخر البربر ، ص ٥٥ .

٢٣٨ - ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٥٩ ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٦٠ .

٢٣٩ - القلقشندى ، المصدر السابق ، ص ١٦٠ .

٢٤٠ - لمزيد من التفاصيل عن البجلية وإختلاف آراء المصادر فيهم ، ارجع الى أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٤٩٩ وما يليها .

٢٤١ - محمد ولد داداه ، مفهوم الملك فى المغرب ، ص ٧٦ .

٢٤٢ - ارجع الى محمود اسماعيل ، حقيقة المسألة البرغواطية ، ص ٤٩ ، *Slouch, p. 397* .

٢٤٣ - أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٤٩١ ، وراجع كذلك حاشية رقم ٢٢٨ .

٢٤٤ - *N. Slouch, L'Empire, p. 394 - Gaston Deverdun, Marrakech des Origines à 1912, Rabat, 1959, p. 45* .

٢٤٥ - أحمد مختار العبادى ، المرجع السابق ، ص ٤٩١ . ويذكر ناحوم سلوتش أن بعض القبائل فى وهران والقصور بالصحراء لا تزال تستخدم كلمة يوش المشتقة من ياكش أو يوشع حتى الآن *N. Slouch, op. cit., p. 297.*

٢٤٦ - محمود اسماعيل ، حقيقة المسألة البرغواطية ، ص ٤٢ .

٢٤٧ - المرجع السابق ، ص ٤٢ ـ . *N. Slouch, op. cit., p. 398* .

٢٤٨ - نفسه ، ص ٤١ .

٢٤٩ - هذا رأى د. سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربى ، ص ٤١٨ ، ٤١٩ ، وكذلك ارجع الى رأى د. رجب عبد الحليم فى المرجع السابق من ص ٤٨ - ٨٦ ، وقد حاول د. رجب الدفاع عن برغوطة وجاهد

لدحض الرأى الذى يصفها بالهرطقة ، وحجته فى ذلك أن المصادر المشرقية لم تذكر شيئاً عن دين برغواطة وخروجها عن الإسلام ، مثل ابن حوقل والمقدسى والاصطخرى كذلك ذكر أن الإدريسى لم يذكر بدوره شيئاً عن برغواطة وفاته أن الإدريسى كان بعيداً عن المغرب وأن الرحالة والجغرافيين السابقين كانوا من المشارقة وأن المؤرخين المغاربة والأندلسيين أمثال البكرى وابن عذارى وابن الخطيب وابن خلدون والسلاوى أجمعوا على هرطقة برغواطة وخروجها عن تعاليم الاسلام .

كما أفرد د. رجب صفحات طويلة للدفاع عن عقائد برغواطة وتوضيح أنها عقائد خارجية صفرية نابعة من تعاليم الإسلام ، وسنوضح على الصفحات التالية فى المتن ردنا على ذلك ، كذلك استدل د. رجب عبد الحليم على صحة رأيه بأن الأدارسة لم يقاتلوا برغواطة إلا ان فى عهد ملكها يونس وأن ذلك ينهض دليلاً قاطعاً على أن برغواطة لم تكن خارجة عن تعاليم الإسلام منذ ظهورها وتأكيداً على تبرئة صالح وأولاده من الهرطقة (المرجع السابق ص ٦٠) . وفى الواقع أن برغواطة كما سنذكر بدأت منذ عهد الياس فى محاولة نشر تعاليمها خارج حدودها الجغرافية ، وسيقوم يونس ولد الياس بفرضها بالقوة ، عند هذه المرحلة بدأت القوى الإسلامية المجاورة تستشعر خطورة برغواطة التى كانت ساكنة فى الفترة الماضية فلما بدأت فى التوسع الإقليمى لنشر عقائدها وجب على الأدارسة وكذلك بنى يفرن ثم المرابطين جهادهم . وسنوضح ذلك على الصفحات المقبلة .

٢٥٠ – محمود اسماعيل ، حقيقة المسألة البرغواطية ، ص ٤٠ ، وما يليها .

٢٥١ – محمد ولد داداه ، مفهوم الملك ، ص ٧٤ .

٢٥٢ – ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ٦٩ ، ٧٠ ـ الناصرى السلاوى ، الإستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٨ .

٢٥٣ – ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٨٢ .

٢٥٤ – عبد العزيز بنعبد الله ، سلا أولى حاضرتى أبى رقراق ، ص ٩ .

٢٥٥ – أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٤٩٤ .

٢٥٦ - المرجع السابق ، ص ٤٩٤ .

٢٥٧ - البكرى ، المغرب ، ص ٨٦ ، ١٦٠ ، ١٦١ .

٢٥٨ - ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٨٣ .

٢٥٩ - البكرى ، المغرب ، ص ٩١ - ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٩ .

٢٦٠ - ابن خلدون ، العبر ، جـ ٤ ، ص ٤٠٩ ، ص ٤٤٦ ، ويسميه صاحب مفاخر البربر عاصم بن جهل اليزداجومى ، ص ٧٧ . وللمزيد من التفاصيل ارجع الى السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، ص ٢٥١ .

٢٦١ - ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٥٩ .

٢٦٢ - عن ديانة حاميم ، ارجع الى البكرى ، المغرب ، ص ١٠٠ - ابن خلدون ، العبر ، ، ج ٦ ، ص ٤٤٤ - ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٦٢ . وقد نص صاحب مفاخر البربر فى ص ٧٧ على التشابه بين عقيدة حاميم وعقيدة برغواطة .

٢٦٣ - عن دور برغواطة فى حركة الماسى الصحراوى فى العصر الموحدى ، ارجع الى ابن عذارى ، البيان ، القسم الموحدى ، ص ٢٦ ، ٣٢ وما يليها - البيذق (ابو بكر ابن على الصنهاجي) كتاب أخبار المهدى ابن تومرت ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ، ١٩٧٤ ، ص ١٢٢ وما يليها - ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٢٣ وما يليها - السلاوى الناصرى ، الإستقصا ، جـ ٢ ، ص ١١٠ ، ١١٣ وما يليها .

٢٦٤ - نبذ من مفاخر البربر ، ص ٧٢ .

٢٦٥ - المصدر السابق ، ص ٧٣ .

٢٦٦ - نفسه ، ص ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ .

بحث من إعداد

د. سحر السيد عبد العزيز سالم

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

مصادر البحث ومراجعه

أولاً المصادر العربية:

١) ابن الآبار (ابو عبد الله محمد القضاعى) : كتاب الحلة السيراء ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، جزآن ، القاهرة ١٩٦٣ .

٢) ابن الاثير (عز الدين ابو الحسن على بن أبى الكرم) : الكامل فى التاريخ ، المجلد الرابع ، بيروت ١٩٦٥ .

٣) ابن أبى زرع (أبو الحسن على بن عبد الله الفاسى) : كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تحقيق تورنبرج ، أوبسالة ، ١٨٤٣ .

٤) ابن تغرى بردى (جمال الدين ابو المحاسن يوسف) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج ١ ، طبعة تراثنا ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

٥) ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد) : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، ١٩٧١ .

٦) ابن حوقل (أبو القاسم النصيبى) : صورة الارض ، مكتبة الحياة ، بيروت (بدون تاريخ) .

٧) ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد) : كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى والأستاذ محمد ابراهيم الكتانى ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤ .

٨) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، المجلدان الرابع والسادس ، بيروت ، ١٩٦٨ .

٩) ابن عذارى (ابو العباس أحمد المراكشى) : البيان المغرب فى أخبار المغرب ، تحقيق الأستاذين ليفى بروفنسال وكولان ، جزآن ، ليدن ، ١٩٤٨ .

١٠) ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك التوزرى) : تاريخ الاندلس وهو

قطعة من كتاب الاكتفاء فى أخبار الخلفاء ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى ، مطبوعات المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ، مدريد ، ١٩٧١ .

١١) ابن القوطية (ابو بكر محمد) : تاريخ افتتاح الأندلس ، نشر خليان ريبيرا ، مدريد ، ١٩٢٦ .

١٢) البكرى (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز) : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، تحقيق البارون دى سلان ، الجزائر ، ١٩١١ .

١٣) البيذق (أبو بكر الصنهاجي) : كتاب أخبار المهدى بن تومرت ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ، ١٩٧٤ .

١٤) الحميرى (ابن عبد المنعم) : الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق دكتور إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٨٤ .

١٥) الرقيق القيروانى : تاريخ إفريقية والمغرب ، تحقيق وتقديم المنجى الكعبى ، تونس ، ١٩٦٨ .

١٦) السلاوى (أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى) : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ .

١٧) السمائلى (سالم بن حمود بن شامس) : إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء ، تحقيق دكتورة سيدة كاشف ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

١٨) القلقشندى (أبور العباس أحمد) : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ١٤ جزءاً ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩١٣-١٩١٩ .

١٩) مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها ، دار الكتاب اللبنانى ، القاهرة ، ١٩٨١ .

٢٠) مجهول : نبذ تاريخية منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر ، نشر ليفى بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤ .

٢١) مجهول : كتاب الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق دكتور

سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة ، الدار البيضاء ، ١٩٧٩ .
٢٢) المراكشي (عبد الواحد) : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق الأستاذين سعيد العريان ومحمد العربي العلمى ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
٢٣) المقرى (أحمد بن محمد) : نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب ، تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ، ج ١ ، القاهرة ١٩٤٩ .
٢٤) الوزان (الحسن بن محمد الفاسى) : وصف أفريقيا ، ترجمة محمد حجى ، ومحمد الأخضر ، ج ١ ، ١٩٨٣ .
٢٥) ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله) : معجم البلدان ، ٥ مجلدات ، بيروت ، ١٩٥٧ .

ثانياً المراجع :

٢٦) البارودى (دكتور رضوان) : بنو يفرن الزناتيون فى بلاد المغرب والأندلس ، الاسكندرية ، ١٩٩١ .
٢٧) البارودى (دكتور رضوان) : التاريخ السياسى لمدينة سبتة من القرن الرابع الهجرى حتى منتصف القرن السابع الهجرى ، المجلة المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد ٣٦ ، لسنة ١٩٨٩ .
٢٨) جودت عبد الكريم يوسف : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، الجزائر ، ١٩٨٤ .
٢٩) جوليان (الأستاذ شارل أندرى) : تاريخ أفريقيا الشمالية من الفتح الإسلامى الى سنة ١٨٣٠ ، جزآن ، تعريب الاستاذين محمد مزالى والبشير سلامة ، تونس ، ١٩٧٨ .
٣٠) الحارثى (سالم بن حمد بن سليمان) : العقود الفضية فى أصول الاباضية ، عمان ، ١٩٨٣ .
٣١) الحجى (دكتور عبد الرحمن) التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة ، بيروت ، ١٩٧٦ .

٣٢) حسن محمود (دكتور) : قيام دولة المرابطين ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

٣٣) حسين مؤنس (دكتور) : فجر الاندلس ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

٣٤) حمدى عبد المنعم حسين (دكتور) : دولة على بن يوسف المرابطى فى المغرب والأندلس ، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الأداب جامعة الاسكندرية ، ١٩٨٠ .

٣٥) خواكين ڤالڤى برميخو : سكوت البرغواطى ملك سبتة ، ترجمة عبد اللطيف الخطيب ، مجلة تطوان ، العدد الحادى عشر ، الرباط ، ١٩٧١ .

٣٦) سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى ، نشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٤ .

٣٧) سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ .

٣٨) سعد زغلول عبد الحميد (دكتور) : تاريخ المغرب العربى ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

٣٩) الطنجى (الأستاذ محمد بن تاويت) : تاريخ سبتة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٢ .

٤٠) العبادى (دكتور أحمد مختار) : فى تاريخ المغرب والأندلس ، بيروت ، ١٩٧٢ .

٤١) عبد الحليم (دكتور رجب محمد) : دولة بنى صالح فى تامسنا بالمغرب الأقصى ، القاهرة ١٩٦١ .

٤٢) عبد العزيز بن عبد الله : سلا أولى حاضرتى أبى رقراق ، سلا ، ١٩٨٩

٤٣) عبد المولى (دكتور محمد أحمد) : القوى السنية فى المغرب من قيام الدولة الفاطمية الى قيام الدولة الزيرية ، الاسكندرية ، ١٩٨٥ .

٤٤) عنان (الأستاذ محمد عبد الله) : دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

٤٥) عيسى (الدكتور محمد عبد الحميد) : فتح الأنداس ، رواية متجددة ، مجلة أوراق ، مدريد ، ١٩٨٢-١٩٨٣ .

عيسى (الدكتور محمد عبد الحميد) : الفتح الإسلامي للأندلس ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

٤٦) محمود اسماعيل (دكتور) : الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى ، الدار البيضاء ، ١٩٧٦ .

٤٧) محمود اسماعيل (دكتور) حقيقة المسألة البرغواطية ـ مغربيات ، دراسات جديدة ، المغرب ، ١٩٧٧ .

٤٨) مطلوب (ناطق صالح) : تاريخ المغرب العربى ، الموصل ، ١٩٨٨ .

٤٩) ميلاد عشاق : من تاريخ المغرب الوسيط : ملاحظات حول المسألة البرغواطية ، مجلة العلم الثقافى ، العدد ٩٧٢ ، الرباط ، مايو ، ١٩٩٠ .

٥٠) ولد داداه (الأستاذ محمد) : مفهوم الملك فى المغرب من إنتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع ، دراسات فى التاريخ السياسى ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ١٩٧٧ .

ثالثاً المراجع الأجنبية:

Deverdun (Gaston) : Marrakech dès origines à 1912, Rabat, 1959.

Devisse (J) : Trade and trade routes in west Africa, t. III, Unesco, 1988.

El-Fasi : The islamisation of north Africa, Unesco, 1988.

El-Fasi & Herbec (I) : Stages in the development of Islam and its dissemination in Africa, in "General History of Africa" vol. III, Unesco, 1988.

Hebrec & Devisse : The almoravides, in "General History of Africa", Unesco, 1988.

Lévi - Provençal (E) : Histoire de l'Espagne musulmane, t, I, Paris, Leiden, 1950.

Slouch (N) : L'Empire de Berghouata, et les origines des Blad es-Siba, Rev. du Monde Musulman, t, II, Paris, 1910.

Talbi (M) : The independence of the Maghrib in "General History of Africa" vol. III, Unesco, 1988.

Terrasse (H) : Histoire du Maroc, t. I, Casablanca, 1944.

فهرس موضوعات البحث

طبع بمكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية
لصاحبها الحاج / يوسف الرفاعى
لطباعة ونشر وتوزيع الكتب الجامعية
جمع ألى - كمبيوتر بالليزر - طباعة أوفسيت
المعمورة البلد - تليفون : ٥٦٠٠٤٧٩ - اسكندرية

مكتبة ومطبعة الإشعاع

ت: ٥٦٠٠٤٧٩

إسكندرية